

****

التعليق

على رسالة الشيخ حمد بن عتيق

إلى النواب الصديق

الدكتور علي بن عبد العزيز الشبل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وبعد: فهذا نص رسالة الشيخ العلامـة حمد بن عتيق رحمه الله كاملا ً:

( بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

من حمد بن عتيق إلى الإمام المعظم والشريف المقدم المسمى محمد الملقب صديق زاده الله من التحقيق وأجاره في مآله من عذاب الحريق.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فالموجب للكتاب إبلاغ السلام والتحفي والإكرام شيد الله بك قواعد الإسلام ونشر بك السنن والأحكام.

اعلم وفقك الله أنه كان يبلغنا أخبار سارة بظهور أخ صادق ذي فهم راسخ وطريقة مستقيمة يقال له صديق فنفرح بذلك ونسر لغرابة الزمان وقلة الإخوان وكثرة أهل البدع والإغلال. ثم وصل إلينا كتاب ( الحِطَّة ) و ( تحرير الأحاديث )، في تلك الفصول

فازددنا فرحًا وحمدنا لربنا العظيم لكون ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس وكان لي ابن يتشبث بالعلم ويحب الطلب فجعل يتوق إلى اللحوق بكم والتخرج عليكم والالتقاط من جواهركم لذهاب العلم في أقطارنا وعموم الجهلة وغلبة الأهواء

فبينما نحن كذلك إذ وصل إلينا التفسير بكماله فرأينا أمرًا عجيبًا ما كنا نظن أن الزمان يسمح بمثله وما قرب منه، لما في التفاسير التي تصل إلينا من التحريف والخروج عن طريقة الاستقامة وحمل كلام الله على غير مراد الله وركوب التفاسير في حملة على المذاهب الباطلة وجُعلت السُّنة كذلك

فلما نظرنا في ذلك التفسير تبين لنا حسن قصد منشيه وسلامة عقيدته وتبعده من تعمد مذهب غير ما عليه السلف الكرام. فعلمنا أن ذلك من قبيل قوله تعالى:ﭽﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ[الكهف: 65]

فالحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرا طيبا كما يحب ربنا ويرضى وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فزاد اشتياق التائق وتضاعفت رغبته ولكن العوائق كثيرة والمثبطات مضاعفة والله على كل شيء قدير فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الناس.

فمن العوائق تباعد الديار وطول المسافات فإن مَقَرَّنا في فلج اليمامة، ومنها خطر الطريق وكثرة القطاع وتسلط الحرامية في نهب الأموال واستباحة الدماء وإخافة السبيل، ومنها ما في الطريق من أهل البدع والضلال بل وأهل الشرك من رافضي وجهمي إلى معتزلي ونحوهم وكلهم أعداء قاتلهم الله:ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ[ الكهف: 10 ]

ومع ذلك فنحن نرجو أن يبعث الله لهذا الدين من ينصره وأن يجعلنا من أهله وأن يسهل الطريق ويرفع الموانع ونسأله أن يَمُنَّ بذلك فهو القادر عليه.

ولما رأينا ما منَّ الله به عليكم من التحقيق وسعة الاطلاع وعرفنا تمكنكم من الآلات وكانت نونية ابن القيم المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية بين أيدينا ولنا بها عناية ولكن أفهامنا قاصرة وبضاعتنا مزجاة من أبواب العلم جملة وفيها مواضع محتاجة إلى البيان ولم يبلغنا أن أحدًا تصدى لشرحها غلب على الظن أنك تقدر على ذلك فافعل ذلك يكن من مكاسب الأجور وهي واصلة إليك إن شاء الله فاجعل قِراها شرحها وبيان معناها وأصلح النية في ذلك تكن حربًا لجميع أهل البدع

فإنها لم تبق طائفة منهم إلا ردت عليها فهذان مقصدان من بعثها إليك أحدهما: شرحها والثاني: الاستعانة بها على الرد على أهل البدع لأن مثلك يحتاج إلى ذلك لكونك في زمان الغرابة وبلاد الغربة،

فإن كنت حريصا ً على ذلك فعليك بكتاب العقل والنقل والتسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية وكتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة والجيوش الإسلامية لابن القيم ونحوهن من كتبهما فإن فيها الهدى والشفاء، ولنا مقصد رابع مهم وهو: أن هذا التفسير العظيم وصل إلينا في شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين وألف هجرية فنظرت فيه وفي هذا الشهر وفي شوال فتجهز الناس للحج ولم أتمكن إلا من بعضه ومع ذلك وقفت فيه على مواضع تحتاج إلى تحقيق وظننت أن لذلك سببين أحدهما: أنه لم يحصل منكم إمعان نظر في هذا الكتاب بعد إتمامه والغالب على من صنف الكتب كثرة ترداده وإبقائه في يده سنين يبديه ويعيده ويمحو ويثبت ويبدل العبارات حتى يغلب على ظنه الصحة غالبًا ولعل الأصحاب عاجلوك بتلقيه قبل ذلك.

والثاني: أن ظاهر الصنيع أنك أحسنت الظن ببعض المتكلمة وأخذت من عباراتهم بعضا بلفظه وبعضا بمعناه فدخل عليك شيء من ذلك ولم تمعن النظر فيها ولهم عبارات مزخرفة فيها الداء العضال.

وما دخل عليك من ذلك فنقول إن شاء الله بحسن القصد واعتماد الحق وتحري الصدق والعدل وهو قليل بالنسبة إلى ما وقع فيه كثير ممن صنف في التفسير وغيره.

وإذا نظر السني المنصف في كثير من التفاسير وشرح الحديث وجد قلته وما هو أكثر منه وقد سلكتم في هذا التفسير في مواضع منه مسلك أهل التأويل مع أنه قد وصل إلينا لكم رسالة في ذم التأويل مختصرة وهي كافية ومطلعة على أن ما وقع في التفسير صدر من غير تأمل وأنه من ذلك القليل.

وكذلك في التفسير من مخالفة أهل التأويل ما يدل على ذلك. وأنا اجترأت عليك وإن كان مثلي لا ينبغي له ذلك لأنه غلب على ظني إصغاؤك إلى التنبيه ولأن من أخلاق أئمة الدين قبول التنبيه والمذاكرة وعدم التكبر وإن كان القائل غير أهل.

ولأنه بلغني عن بعض من اجتمع بك أنك تحب الاجتماع بأهل العلم وتحرص على ذلك وتقبل العلم ولو ممن هو دونك بكثير فرجوت أن ذلك عنوان توفيق جعلك الله كذلك وخيرًا من ذلك.

واعلم أرشدك الله أن الذي جرينا عليه أنه إذا وصل إلينا شيء من المصنفات في التفسير أو شرح الحديث اختبرناه واعتبرنا معتقده في العلو والصفات والأفعال فوجدنا الغالب على كثير من المتأخرين أو أكثرهم مذهب الأشاعرة الذي حاصله نفي العلو وتأويل الآيات في هذا الباب بالتأويلات الموروثة عن بشر المريسي وأضرابه من أهل البدع والضلال ومن نظر في شروح البخاري ومسلم ونحوهما وجد ذلك فيها.

وأما ما صنف في الأصول والعقائد فالأمر فيه ظاهر لذوي الألباب فمن رزقه الله بصيرة ونورًا وأمعن النظر فيما قالوه وعرضه على ما جاء عن الله ورسوله وما عليه أهل السنة المحضة تبين له المنافاة بينهما وعَرف ذلك كما يعرف الفرق بين الليل والنهار.

فأعرض عما قالوه وأقبل على الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وأئمتها ففيه الشفاء والمقنع.

وبعض المصنفين يذكر ما عليه السلف وما عليه المتكلمون ويختاره ويقرره، فلما اعتبرنا هذا التفسير وجدناك وافقتهم في ذكر المذهبين وخالفتهم في اختيار ما عليه السلف وتقرره.

وليتك اقتصرت على ذلك ولم تكبر هذا الكتاب بمذهب أهل البدع فإنه لا خير في أكثره وما فيه من شيء صحيح فقد وجد في كلام السلف وأئمة السنة ما يغني عنه بعبارات تنشرح لها الصدور.

وقد يكون لكم من القصد نظير ما بلغني عن الشوكاني رحمه الله لما قيل له: لأي شيء تذكر كلام الزيدية في هذا الشرح؟ قال ما معناه: لآمن الإعراض عن الكتاب ورجوت أن ذكر ذلك أدعى إلى قبوله وتلقيه وقد قيض الله لكتب أهل السنة المحضة من يتلقاها ويعتني بها وأظهرها مع ما فيها من الرد على أهل البدع وعيبهم وتكفير بعض دعاتهم وغلاتهم، فإن الله قد ضمن لهذا الدين أن يظهر على الدين كله،

والمقصود: أن في هذا التفسير مواضع تحتاج إلى تحقيق ولنذكر بعض ذلك فمنه أني نظرت في الكلام على آية الاستواء فرأيتك قد أطلت الكلام في بعض المواضع بذكر كلام المبتدعة النفاة كما تقدم.

ومنه أن في الكلام تعارضًا كقولكم في آية يونس: وظاهر الآية على أنه سبحانه إنما استوى على العرش بعد خلق السماوات والأرض لأن كلمة [ثُم] للترتيب،

ثم قلتم في سورة الرعد: وثُم هنا لمجرد العطف لا للترتيب لأن الاستواء عليه غير مرتب على رفع السماوات.

وكذلك قلتم في سورة السجدة: وليست ثُم للترتيب بل بمعنى الواو.

فلينظر في هذا من وجهين: أحدهما أن ظاهره التعارض، والثاني: أن القول بأن ثم لمجرد العطف لا الترتيب في هذه الآيات إنما يقوله من فسر الاستواء بالقهر والغلبة وعدم الترتيب ظاهر على قولهم.

وأما السلف وأئمة السنة وأهل التحقيق فقد جعلوا اطراد الآيات في جميع المواضع دليلًا على ثبوت الترتيب وردوا به على نفاة الاستواء وأبطلوا به تأويلاتهم كما هو معروف ومقرر في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره فانظر من أين دخلت عليك هذه العبارات.

وقد رأيت للرازي عبارة في التفسير تفهم ذلك فلعلك بنيت على قوله.

وهذا الرجل وإن كان يلقب بالفخر فله كلام في العقائد قد زل فيه زلات عظيمة وآخر أمره الـحَـيـرة نرجو أنه تاب من ذلك ومات على السنة. فلا تغتر بأمثال هؤلاء،

قال شيخ الإسلام رحمه الله في المحصل: وسائر كتب الكلام والمختلف أهلها مثل كتب الرازي وأمثاله وكتب المعتزلة والشيعة والفلاسفة ونحو هؤلاء لا يوجد فيها ما بعث الله به رسوله في أصول الدين بل وجد فيها حق ملبوس بباطل. انتهى من منهاج السنة

وقد قال بعض العلماء في المحصل:

محصل في أصول الدين حاصله من بعد تحصيله أصل بلا دين

أصل الضلال الشرك المبين وما فيه فأكثـره وحـي الشياطيـن

فكيف تسمح نفس عاقل أن يعتمد على مثل قول هؤلاء،

ومن ذلك أنكم قلتم في سورة يونس أيضًا: استوى على العرش استواءً يليق بجلاله وهذه طريقة السلف المفوضين: وقد تقدس الديان عن المكان والمعبود عن الحدود انتهى.

فإن كان المراد بالتفويض ما يقوله بعض النفاة وينسبونه إلى السلف، وهو أنهم يمرون الألفاظ ويؤمنون بها من غير أن يعتقدوا لها معاني تليق بالله أو أنهم لا يعرفون معانيها فهذا أكذب على السلف من النفاة، وإذا قال السلف كما جاءت بلا كيف فإنما ينفون علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة.

ولو كانوا قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول وأمرّوها كما جاءت بلا كيف فالاستواء لا يكون حينئذ معلوما بل مجهولا بمنزلة حروف الجر.

وأيضًا: فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم من اللفظ معنى، وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا ثبتت الصفات، هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

ولا نشك أن هذا اعتقادك ولكن المراد أنه دخل عليك بعض الألفاظ من كلام أهل البدع لم تتصور مرادهم فتنبه لمثل ذلك.

وأما قول القائل يتقدس الديان عن المكان فهذا لم ينطق السلف فيه بنفي ولا إثبات وهو من عبارات المتكلمين ومرادهم به نفي علو الله على خلقه لأن لفظ المكان فيه إجمال يحتمل الحق والباطل كلفظ الجهة والعلو والكلام في ذلك معروف في كتب شيخ الإسلام وابن القيم فارجع إلى ذلك تجده ولا نطيل به وحسبنا الاقتصار في هذا الباب على ما ورد في الكتاب والسنة كما قال الإمام أحمد رحمه الله: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث.

ومن ذلك ما ذكرتم عند قوله تعالى: ﭽ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ[فصلت: 11]، وقد قيل إن خلق جرم الأرض متقدم على السماء ووجودها متأخر وقد ذكره جماعة من أهل العلم وهذا جمع جيد يجب المصير إليه وفي حم السجدة الجواب أن الخلق ليس عبارة عن الإيجاد والتكوين فقط بل عبارة عن التقدير أيضًا والمعنى (قضى) أن يحدث الأرض في يومين بعد إحداث السماء والجواب المشهور أنه خلق الأرض أولاً ثم خلق السماء بعدها ثم دحا الأرض وحدها والأول أولى ففي هذا نوع تعارض.

ومن ذلك قولكم على البسملة: والرحمة إرادة الخير والإحسان لأهله.

وقيل ترد عقوبة من يستحق العقاب وإسداء الخير والإحسان إلى من لا يستحقه فهو على الأول صفة وعلى الثاني صفة فعل انتهى، وهذا هو التأويل المعروف عن بعض أهل البدع يردون هذه الصفات إلى الإرادة فرارًا مما فهموه حيث قالوا إن الرحمة ورقّـة القلب لا يصلح نسبتها إلى الله تعالى، فقال لهم أهل السنة هذه رحمة المخلوق ورحمة الرب تليق بجلاله لا يعلم كيف هي إلا هو ويلزمهم في الإرادة نظير ما فروا منه في الرحمة.

فإن الإرادة هي ميل القلب فإما أن تثبت إرادة تليق بالرب تعالى وهو الحق في جميع الصفات وإما أن تقابل بالتأويل وهو الباطل،

والآفة دخلت على النفاة من جهة أنهم لم يفهموا من صفات الرب إلا ما يليق بالمخلوق فذهبوا لينفوا ذلك، ويقابلونه بالتأويلات.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: إنهم شبهوا أولاً فعطلوا آخرا، وأهل السنة والجماعة أثبتوا لله جميع الصفات على ما يليق بجلاله ونفوا عنه مشابهة المخلوقين فسلموا من التشبيهوالتعطيل

ومن ذلك: أنكم أكثرتم في هذا التفسير من حمل بعض الآيات على المجاز وأنواعه وقد علمتم أن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز حدث بعد القرون المفضلة ولم يتكلم الرب به ولا رسوله ولا أصحابه ولا التابعون لهم بإحسان.

والذي يتكلم به من أهل اللغة يقول في بعض الآيات هذا في اللغة ومراده أن هذا مما يجوز في اللغة لم يرد بهذا الحادث ولا خطر بباله ولا سيما أنهم قالوا: إن المجاز يصح نفيه فكيف يليق حمل الآيات القرآنية على مثل ذلك.

وقد أتى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب الإيمان الكبير بما كفى وشفى وذكر الآيات التي استدلوا بها وبعض الأمثلة التي ذكروها وأجاب عن ذلك بما إذا طالعه المنصف عرف الصواب وقواعده أن المجاز لا يدخل في النصوص.

ولا يهولنك إطباق المتأخرين فإنهم قد أطبقوا على ما هو شر منه والعاقل يعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال.

ومن عرف غربة الإسلام والسنة لم يغتر بأقوال الناس وإن كثرت.

والله تعالى يقول: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢﭼ[ الآية من سورة الأنعام: 116]، ومن أبلغ الناس بحثا ً في المعاني الزمخشري وله في تفسيره مواضع حسنة ولكنه معروف بالاعتزال ونفي الصفات والتكلف في التأويلات والحكم على الله بالشريعة الباطلة مع ما هو عليه من سبه السلف وذمهم والتنقص لهم.

وفي تفسيره عقارب لا يعرفها إلا الخواص من أهل السنة وقد قال فيه بعض العلماء:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ولكنـه فيـه مـجـال لقـائـــل |  | وزلات سوء قد أخذن المخانقا |
| ويشهد في معنى القليل إشـارة |  | بتكثير ألفاظ تسمـى الشقاشقا |
| يُقَوِّل فيها الله مـا ليـس قـائلا |  | وكـان مجما في الخطـايـة وامـقـا |
| ويشتـم أعـلام الأئمـة ضلــة |  | ولا سيما إن أولجـوه المضائقـــا |
| لئن لم تــداركـه مـن الله رحمـة |  | لسـوف يرى للكافرين مرافقـا |

والمقصود أن الاعتماد على مثل أقوال هؤلاء لا يليق بالمحقق لا سيما فيما يتعلق بمعرفة الله وتوحيده وأنت ترى مثل محمد بن جرير الطبري وأقرانه ومن قبله ومن يقربه في زمانه لم يعرج على هذه الأمور وكذلك المحققون من المتأخرين كابن كثير ونحوه.

وكما هو المأثور عن السلف رحمهم الله تعالى وما استنبطوا منه.

فنسأل الله أن يلحقنا بآثار الموحدين وأن يحشرنا في زمرة أهل السنة والجماعة بمنه وكرمه وقد اجترأت عليك بمثل هذا الكلام نصحا ً لله ورسوله رجاء من الله أن ينفع بك في هذا الزمان الذي ذهب فيه العلم النافع ولم يبق إلا رسومه،

وأنا أنتظر منك الجواب ورد ما صدر مني من الخطاب. ثم إني لما رأيت الترجمة وقد سمي فيها بعض مصنفاتك وكنت في بلاد قليلة فيها الكتب، وقد ابتليت بالدخول في أمور الناس لأجل ضرورتهم كما قيل: خلا لك الجو فبيضي واصفري،

فألتمس من جنابك التفضل علينا ببلوغ السول من أقضية الرسول، والروضة الندية شرح الدرر البهية ونيل المرام شرح آيات الأحكام. فنحن في ضرورة عظيمة إلى هذه كلها فاجعل من صالح أعمالك معونة إخوانك ومحبيك بها وابعث بها إلينا مأجورا إن شاء الله تعالى.

وليكن ذلك على يد الأخ أحمد بن عيسى الساكن في مكة المكرمة المشرفة واكتب لنا تعريفا بأحوالكم. ولعل أحدًا منكم يتلقى هذا العلم ويعتني به ويحفظه عنك واحرص على ذلك طمعا أن يجمع لك شرف الدنيا والآخرة ونسأل الله أن يهب لك ذلك.

ثم اعلم أني قد بلغت السبعين وأنا في معترك الأعمار لا آمن هجوم المنية ولي أولاد ثمانية منهم ثلاثة يطلبون العلم كبيرهم سعد المذكور أولا ويليه عبد العزيز وتحته عبد اللطيف ونرجو أنهم من أهل الكتب وممن يعتز بها ويحفظها. وبقيتهم صغار منهم من هو في المكتب.ومن دعائنا: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﭼ [الفرقان: 74]، ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﭼ[البقرة 128 ]، لا تنسنا من صالح دعائك كما هو لك مبذول، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.) ا.هــ([[1]](#footnote-1))

{ مقدمة المعلق }

الحمدلله وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه...

هذه الرسالة التي نريد أن نتذاكرها في هذه المجالس رسالة تمثل أسلوبا ًعزيزا ً ومتميزا ًمن أساليب أهل العلم في التعامل مع العالِـم المخالف في العقيدة بقصد التسبب في هدايته.

\*تنويه بابن عتيق رحمه الله ومكانته:

أما مُرسِلها فعالم من علماء الدعوة وهو الشيخ حمد بن على بن عتيق رحمه الله، وهو من خواصّ طلاب الشيخ عبد الرحمن بن حسن ثم من كبار أصحاب الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، وكان الشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق المولود سنة ( 1227هـ ) والمتوفى في سنة ( 1301 هـ )، وهو والد الشيخ المحدث سعد بن حمد بن عتيق رحمه الله ( ت 1349هـ )، شيخ شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله (ت1420هـ ).

والشيخ حمد بن علي بن عتيق رحمه الله نشأ في الزلفي([[2]](#footnote-2)) ثم رحل إلى الرياض ولازم العلماء الكبار وتخرج عليهم وتأهل للقضاء والتدريس، وتولى قضاء الخرج والحوطة، ثم استقر في قضاء الأفلاج للإمام فيصل بن تركي وسبّب نهضة علمية مشهودة في الأفلاج.

الشيخ حمد بن عتيق يُسمِّيه المشايخ بـــ: ( مدفع التوحيد ) لقوته وصلابته فيه، ولأنه في مسائل العقيدة لا يجامل وقوي شديد على المخالف المعاند.

من مؤلفاته على طريقة علماء نجد بالتأليف حسب المناسبات:

1 – شرح كتاب التوحيد المسمى: ( إبطال التنديد ).

2 – الرد على ابن دعيج.

3 – سبيل النجاة والفكاك من موالاة أهل الإشراك.

4 – فتاوى ورسائل ونصائح عديدة ضمن مجموعة الدرر السنية

من جمع الشيخ ابن قاسم رحمه الله.

وخلّف الشيخ حمد بن عتيق عشرة أولاد ذكور من أهل العلم والقضاء والديانة أشهرهم:

1 – الشيخ سعد بن حمد ( ت 1349هـ ) قاضي الرياض.

2 – الشيخ عبد العزيز بن حمد ( ت 1359 هـ) قاضي الوادي ثم الأفلاج.

3 – الشيخ عبد اللطيف بن حمد ( ت 1350 هـ ) قاضي رنية.

4 – الشيخ عبد الله بن حمد ( ت 1342 هـ ) قاضي الغطغط.

وقد أشار الشيخ حمد بن عتيق في مراسلته هذه لابنائـه المشتغلين بالعلم وهمتهم فيه.

أما رسالته هذه للنواب الصديق حسن خان فـفيـها من الأدب والسمو وحسن التعامل معه ما كانت سببا ًفي رجوع النواب الصديق حسن خان القنوجي إلى منهج السلف الصالح، وذلك لما اطلع على تفسير النواب حسن خان رحمه الله الذي سماه:( البيان في مقاصد القرآن )، كما وسبّب للنواب الصديق حسن خان أن يؤلف رسالة في اعتـقاد السلف سماها: ( قطف الثمر في بـيان عقيدة أهل الأثر ) بعد ما كان قبل هذا ينحو منحى المتكلمين من الماتردية والأشاعرة.

\* المقصود من هذه الرسالة أمور:

أولها: السير على منهج السلف الصالح في العلم والتعلم، وفي الغيرة والتعامل مع المخالفين لاسيما إذا كانوا من العلماء.

الأمر الثاني: بيان الأدب السلفي حيث الأدب– معاشر الإخوة- بضاعة مفقودة عند جمع من الطلبة للأسف!! والناس بحاجه إلى الأدب قبل حاجتهم إلى العلم خصوصا ًالأدب المتعلق بالعقيدة الصحيحة، والدفاع عنها والذب عنها، فهذه الرسالة إنموذج في هذا المعنى وهذا الباب.

الأمر الثالث: فيها ما يجب أن يُـعامل به العلماء الذين عندهم اجتهاد أن لا يُطّرح خيره بل يُتسبّب في صلاحهم وإصلاحهم، وترشيدهم بالأسلوب العلمي والمنهج الحكيم.

الأمر الرابع: أن فيه ذكر منهج لعالم من علماء الدعوة الإصلاحية السلفية عُرِف بالغيرة والصلابة في الذب عنها، وذلك مع هذا العالم المخالف، إذ يظن كثير من الناس أن علماء الدعوة ليس عندهم إلا تبديع أو تكفير المخالف !! وهذا خطأ ينم عن جهل كبير في علماء الدعوة وأئمتها، بل هذه الرسالة وأمثالها تدل على أن العلماء من أرحم الناس بالمخالفين وأحرصهم على هدايتهم وسوقهم إلى الحق.

الأمر الخامس: هو عدم المجاملة أو الممالئة على حساب العقيدة والدين، ففرق بين المداراة وبين المجاملة والممالئة فالعلماء بهذا يُـبـيِّـنون الحق والحق يُـبـيَّـن بالأسلوب المناسب فيه، في اللين في مواضع وفي الشدة في مواضع، بحسب اللائق المناسب في هذا وهذا.

واللين مع القوه والحجة العلمية أبلغ في الوصول للمقصود، لكن قد تستخدم الشدة في اللفظ أو في التعامل في قضايا معينه بحسبها لما يُرى من مناسبتها.

هذه الرسالة أظن بعد قراءتها وبعد تأملها سوف يحدث عند طلبة العلم بعث أمل وقلب للتصور الذي كان عندهم حول العلماء وتعاملهم مع المخالف، ففيها الأدب: أدب سلفي علمي، وفيها عقيدة، وفيها الترسم للمنهج السلفي الصحيح الذي قامت عليه دعوة الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الإصلاحية، ونستعين الله في مدارستها على ما يفتح الله عز وجل به وهو الفتاح العليم.

\* تنويه بالصديق حسن خان رحمه الله:

والمرسل إليه عالم كبير هو النواب أبو الطيب صديق خان بن حسن بن علي البخاري القنوجي ( 1248 – 1307 هــ )، لقي العلماء وأفاد منهم، ورحل إلى الهند والحرمين، ألف كثيرا ً، واستجاز العلماء الكبار وأجاز، وتولى نيابة بهوبال لما تزوج زعيمتها، وكان قد نشأ حنفيا ً، وكان على طريقة المتكلمين، ثم تسبب الله عز وجل عليه بإنتحاله طريقة أهل الحديث، وهو مؤلف له مؤلفات تدل على علو كعبه في العلم له ( الحطة في ذكر الكتب الستة ) وله ( فتح البيان في مقاصد القرآن ) في 15 مجلداً، ( وقطف الثمر في اعتقاد أهل الأثر ) وله مؤلفات كثيرة.

أما مكـتـبـتـه فقد ذهبت إليها في رحلتي للهند وتتبعتها، وجملة منها الآن في ندوة العلماء في لكنهو في الهند، والصديق حسن خان تزوج ملكة بوهابال وهي من سلالة المغول وتولى أمر الدولة ولذلك يُقال له النواب لأنه نائب عن هذه الملكة في إدارة هذا الشأن.

{ بداية التعليق }

( بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم من حمد بن عتيق إلى الإمام المعظم والشريف المقدم المسمى محمد الملقب صديق زاده الله من التحقيق وأجاره في مآله من عذاب الحريق.)

يقول: ( بسم الله الرحمن الرحيم ) تأسيا ًبالكتاب العزيز وبالسنة النبوية وما درج عليه السلف،

( من حمد بن عتيق)، حمد بن عتيق هذا اسمه واسم أبيه الذي يُعرّف به من أرسل إليه، وهذا من أنواع الإستـئذان لأن الإستـئذان يستأذن بإسمه و اسم أبيه، وهذه هي السُّنة في المراسلات كما دل عليها الحديث الصحيح في مراسلة النبي صلى الله عليه وسلم لهرقل عظيم الروم.

( إلى الإمام المعظم ): إمام في العلم وإمام أيضا ً في السياسة المعظم عند الناس لاسيما عند جماعته،

إذن ما اخفاه واخلاه من الالقاب المناسبة له في حقه، ( والشريف المقدّم ): شرف العلم وشرف الإمارة المقدّم في العلم وفي الإمارة، ( المسمّى محمد ) يعني سماه أهله محمد، ( الملقّب صدّيق)، لأن الصدّيق لقب ليس اسم وإن كان غلب اللقب على الاسم يقال له الصدّيق حسن خان ( صديق زاده )، زاده هذا من الالقاب الأعجمية مثل ميرزه.

( زاده الله من التحقيق ) هذا من السجع المملح الذي يُملّح الرسالة، (وأجاره في مآله من عذاب الحريق) والمآل: الآخرة.

هذه الدياجة - يا إخواني - فيها تلطّـف وفيها إنزال لهذا العالم منزلته، ولم يقل من حمد بن عتيق إلى السافل الكذاب الدجال الذي فيه وفيه........إلخ.

لأن المقام مقامُ تسبّب ٍ في الهداية وإنما انزله منزلته اللائقة به من غير تزيُّد كما فعل النبى عليه الصلاه والسلام وهو الأسوة والقدوةحين قال: من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ([[3]](#footnote-3)) حيث أنزله منزلته التي هو فيها ودعا له بالدعاء الذي فيه خيري الدنيا والآخرة زاده الله في الدنيا من التحقيق وأجاره في الآخرة من عذاب الحريق.

( السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فالموجب للكتاب إبلاغ السلام والتحفي والإكرام شيد الله بك قواعد الإسلام ونشر بك السنن والأحكام،

اعلم وفقك الله أنه كان يبلغنا أخبار سارة بظهور أخ صادق ذي فهم راسخ وطريقة مستقيمة يقال له صديق فنفرح بذلك ونسر لغرابة الزمان وقلة الإخوان وكثرة أهل البدع والإغلال. ثم وصل إلينا كتاب ( الحِطَّة ) و ( تحرير الأحاديث )في تلك الفصول.

فازددنا فرحًا وحمدنا لربنا العظيم لكون ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس وكان لي ابن يتشبث بالعلم ويحب الطلب فجعل يتوق إلى اللحوق بكم والتخرج عليكم والالتقاط من جواهركم لذهاب العلم في أقطارنا وعموم الجهلة وغلبة الأهواء فبينما نحن كذلك إذ وصل إلينا التفسير بكماله فرأينا أمرًا عجيبا ً ما كنا نظن أن الزمان يسمح بمثله وما قرب منه، لما في التفاسير التي تصل إلينا من التحريف والخروج عن طريقة الاستقامة وحمل كلام الله على غير مراد الله وركوب التفاسير في حملة على المذاهب الباطلة وجُعلت السُّنة كذلك،

فلما نظرنا في ذلك التفسير تبين لنا حسن قصد منشيه وسلامة عقيدته وتبعده من تعمد مذهب غير ما عليه السلف الكرام. فعلمنا أن ذلك من قبيل قوله تعالى: ﭽﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ[الكهف: 65]

فالحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرا طيبا كما يحب ربنا ويرضى وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. فزاد اشتياق التائق وتضاعفت رغبته ولكن العوائق كثيرة والمثبطات مضاعفة والله على كل شيء قدير فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الناس.)

نتأمل ما في هذه الدياجة حيث يقول الشيخ حمد رحمه الله:( السلام عليكم ورحمه الله وبركاته )، هذه تحية الإسلام وهذه أبلغ صورها الذي استقرت عليه سنة النبي عليه الصلاة والسلام أنه يختم سلامه بقوله وبركاته، ( وبعد )، في كلمة ( بعد ) عدة أوجه:

1 – (أما بعدُ )بضم الدال وأصلها أما بعد ذلك فحذف المضاف إليه واستعيضت عنه بالضمة والنبي عليه الصلاة والسلام استعملها في سائر خُطبه وترجم عليها الإمام البخاري في صحيحه (باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد )، والعلماء يتسامحون فيها، وأفضل صيغها أما بعد.

2 - ويجوز فيها ( وبعدُ )، أي: وبعد ذلك.

3 -ويجوز فيها ( وبعده )، كل هذه صيغ جائـزة ولا غضاضة فيها من جهة المعنى اللغوي ولا من جهة اقـتـفاء السُّنة، وبعد (فالموجب ) أي فالسبب ( للكتاب ) وهي رسالة تسمى الرسالة كتاب لأنه يكتبها ويُرسلها، ( فالموجب للكتاب إبلاغ السلام والتحفي والإكرام ):إبلاغك سلامنا والتحفي هو: من الحفاوة وهي الحرص على إجلاله وإكرامه، ( شيد الله بك قواعد الإسلام ونشر بك السُّنن والأحكام ) عاد للدعاء والدعاء للمقابل يا إخوانى من أسباب تلطيف قلبه وتـحـنـيـنـه إلى الحق، وهذا أسلوب مُطردّ في مراسلات علماء الدعوة رحمهم الله.

حيث في مختصرات إمام الدعوة يقول: اعلم رحمك الله، اعلم رحمني الله وإياك، وهذا يكاد يكون منهج يا إخواني لعلماء الدعوة في مراسلاتهم بالدعاء لمن وجّه إليه الكتاب تحنينا ً لقلبه وتلطيفا ً لخاطره ودعاءً إلى الله سبحانه للمرسل إليه يقول: ( اعلم وفقك الله ) وهذه جملة دعاء، (أنه كان يبلغنا أخبارسارة )، والناس في ذلك الوقت وسائل الإتصالات عندهم ضعيفة على الطريقة القديمة على الإبل والسفن والأخبار التي تأتيهم وأشهرها من جهتين:

الأولى: من جهة الحجاج وغالبا ً الحج مكان لاتصال أهل العلم.

الجهة الثانية: من جهة من سافر من أهل نجد لطلب العلم في الهند إذ كانت مدرسة الحديث رائجة فيها، وفيها مدارس أخرى للحنفية والشافعية.

والهند فيها مذهبان: فاكثر بلاد الهند على المذهب الحنفي، أما جنوب الهند الغربي مثل كيرلا وسيريلانكا ونواحيهما فـعـلى مذهب الإمام الشافعي وكانت الهند وجهة للعلماء، يسافرون إليها يطلبون العلم وبهذه الطريقة نقلوا العلم من الهند إلى نجد علم الأسانيد والحديث،

يقول الشيخ رحمه الله: ( بظهور أخ صادق ) يعني الصديق حسن خان، أخ من أخوة الإسلام والإيمان، صادق مما يحسبه ( ذي فهم راسخ ) كيف توصل إلى أنه فهمه راسخ؟

الجواب: من خلال ما اطلع عليه من مؤلفاته والنواب رحمه الله طبع كتبه في المطابع القديمة في الهند لأنه كان ذو شأن ذو سلطان وذو يَسار فيفرح العلماء بقدوم الكتب من تلك الجهات، وتعلمون كم بين الهند وبين نجد من المسافات ومع ذلك مع سلامة النية وحسن المقصد ووجود الهمة والحرص يَسّر الله وصولها.

( وطريقة مستقيمة ): الطريقة المستقيمة هو المنهج المستقيم لأن النواب رحمه الله تآليفه محشوة بالأدلة والأدلة المستفادة من الكتاب والسُّنة يستفاد منها أن صاحبها متـتبّع للحق.

( يقال له صدّيق): يُقال له لأن هذا لقب واللقب يشعر بالذم والمدح ولكن ما حكم بهذا، قد يكون صدّيقا ً وقد لا يكون صدّيقا ً، ( فنفرح بذلك ونُسر):أبدى الذي بخاطره من غير تـزيُّد، ما بالغ في المدح حيث قال ما يفرحنا ويسرنا، لماذا يفرح ويُسر؟ قال: ( لغرابة الزمان )زمان غريب لغربةأهله غربة الحق والموالاة والمناصر فيه، ( وقلة الإخوان ):إخوان العلم وإخوان الديانةوالسُّنةوالإستقامة، (وكثرةأهل البدع والإغلال )، أهل البدع بانواعهم كما سيذكر الشيخ من جهمية ومبتدعة وروافض وصوفيةإلى آخـره، والإغلال: الذين في قلوبهم الغل والحقد على أهل الإيمان وأهل الإستقامة وأهل السُّنة والجماعة، كما نـزَّه سبحانه أهل الإيمان من مستحقي الفيء بقوله من سورة الحشر: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭼ

( ثم وصل إلينا ) يعني قبل أن تصل كتبه وصلت الأخبار وخصوصا ً بعد ما تزوج النواب الصديق حسن خان بملكه بوهابال، وبوهابال هذه مدينة بين حيدر أباد و دلهي، بين بوهابال وحيدر أباد تقريـبا ًألف كيلو متر، وبـيـنـها وبين دلهي نحو ثمانمئة كيلو متر، (ثم وصل إلينا كتاب " الحطّة في الكتب الستة " وكتاب " تحرير الأحاديث " )،

فازداد تعلق المشايخ به وفرحهم به لأنه وافق الـخُـبر الـخَـبر وافقت كتبه ما كان يُذكر عنه لأن الزمان يحتاج إلى تجديد،

يقول: ( في تلك الفصول )أي: في تلك الأحوال، فالفصل هو الحال ( فازددنا فرحا وحمدنا لربنا العظيم لكون ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ) فنسب الفضل إلى أهله وارجع الخير إلى ربه سبحانه وتعالى، أنه هو المتسبّب بهذا لكون ذلك أي: العناية بالعلم والطريقة السلفية المستقيمة من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون وفي هذا اقتباس، ( وكان لي ابن يتشبث بالعلم ) من يعني به؟

الغالب إنه الشيخ سعد المحدِّث، والشيخ حمد له أبناء كُـثُـر الذين عنوا بالعلم منهم اثنان: الشيخ سعد والشيخ عبد العزيز ولكليهما أبناء، وله غيرهما وقد سبق في المقدمة ذكر أربعة من أبناء الشيخ حمد بن عتيق الذين اشتغلوا بالعلم وتولوا المناصب الدينية.

أما الشيخ سعد ( ت 1349 هـ ) فرحل إلى الهند رحمه الله والتقى بالعلماء وأشهر من أخذ عنهم من علماء الهند كبير محدّثيهم النذير حسين شيخ الحديث في دهلي وتُسمَّى الآن بدلـهي،

وابنه الثاني الشيخ عبد العزيز بن حمد بن عتيق رحمه الله (ت 1359 هـ )، هذا كان قاضيا ً من كبار القضاة وكأن المعني هنا والله اعلم هو الشيخ سعد، قال: (وكان لى ابن يتشبث بالعلم ويحب الطلب )أي: طلب العلم والرحلة فيه، يقولون إن هذه تُبيّن أن وقت التأليف كان تقريبا ً في أواخر 1280 هــ أو أوائل 1290 هــ، فيها تقريبا ً سنةتأليف هذه الرسالة،

ونستفيد من هذا أن الشيخ ابن عتيق والشيخ النواب الصديق حسن خان قرينان ما بينهما إلاست سنوات في الوفاة، الشيخ ابن عتيق توفي سنة 1301 هـ والنواب توفي سنة 1307 هـ، (فجعل يتوق )أي: يشتاق، (إلى اللحوق بكم ) لطلب العلم والأخذ منكم ( والتخرج عليكم )، تخرج على فلان يعني درس عليه العلم حتى أصبح من طُلاّبه الذين حملوا عنه علما ً، ( والالتقاط من جواهركم ): انظر الأدب والجواهر ليست بالنقد والذهب والفضة، وإنما جواهر العلم،

( لذهاب العلم في أقطارنا ): انظر التواضع أقطارنا أقطار الجزيرة ونجد العلم فيها قليل خصوصا ًعلم الحديث، ( وعموم الجهل وغلبة الأهواء ) وهذا عموم الجهل ليس خاص بنا ولكن في عموم الدنيا ولكن تبرز بعض الجهات في أحقاب من الزمان دون جهات.

في ذلك الوقت كانت الهند لها شأن في العلم، ثم بسبب هذه الدعوة الإصلاحية السلفية المباركةأصبحت المملكة ونواحيها منشأ ومقصد للعلم، مثلا ً:إذا ذكرت حواضر العلم في الزمن المعاصر في علم الشريعة، أول ما تُـذْكَر بلادنا، كما تُذكر مصر في الأزهر على ضعف فيه، وقبله في جامع الزيتونة بـتـونـس على ضعف فيها، وفي المغرب في القرويين، وفي موريتانيا وهكذا، حواضر العلم سارت معروفة في بلدان المسلمين.

إذا أجتمع الجهل والهوى فهذه أسباب فساد بني آدم وهذا في القرآن قال الله تعالى:ﭽﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱﭼ[ الاحزاب 72 ]، ظلوما ً بسبب الهوى، جهولا ً بسبب عدم العلم.

( فبينما نحن كذلك )أي: في هذه الحال والترصد لما نسمع من أخبارك وبلوغ مؤلفاتك، (إذ وصل إلينا التفسير بكماله )، تفسير النواب المسمى " بالبيان في مقاصد القرآن " وهو تفسير كبير في مجلدات عدّة حوالي بمختلف طبعاتها حوالي 13 مجلد أو 12 مجلد وبعضها 16 مجلد، ( فرأينا أمرا ً عجيبا ً ما كنا نظن أن الزمان يسمح بمثله وما قرب منه ) هذا فيه إجلالا ً لتفسيره ومدحه له فيذكر الأقوال وترسم منهج السلف الصالح.

يقول الشيخ حمد رحمه الله: ما كنا نظن أن زماننا هذا الذي نعيشه يأتي بمثل هذا الكتاب الجديد ولا ما قرب منه ظن أن العلم استأثر به سلفه الأوائل، مثل تفسير ابن جرير وتفسير البغوي وابن كثير وأمثالهم رحمهم الله، ( لما في التفاسير التي تصل إلينا من التحريف ): انظر كيف الآن يَلْمح إليه، التفاسير الواصله بعد قرون السلف الصالح من ترسم طريقتهم فيها أنواع التحريف خصوصا ً في بابـيَّ توحيد العبادة وتوحيد الاسماء والصفات.

( والخروج عن طريقة الاستقامة ): الاستقامة على منهج السلف الصالح في أصل الدين ومتحد العقيدة، ( وحمل كلام الله على غير مراد الله )كالتأويل، التأويل الباطل كتأويل الاستواء بالاستيلاء، وتأويل المجيء ﭽ ﯩ ﯪﭼ بمجيءأمره، وتأويل النزول بنزول الرحمة أوالملك أو القدرة، وما إلى ذلك، ( وركوب التفاسير في حمله على المذاهب الباطلة ): يعني فيها وجهان في حمله أو في جملة في الجملة تفاسير ركبت مركب مذاهب الباطل، والتفاسيرأنواع أشهرها مدرستان:

1 - تفسير بالمأثور وتفسير بالرأي والمعقول، فـتـفـسير ابن جرير وابن كثير رحمهما الله حمل الراية الأولى.

2 - والتفسير بالرأي أنواع منه: التفسير الباطني كتفاسير الباطنية، ومنه التفسير الإشاري كتفسير الصوفية وتفاسير الروافض،

يقول رحمه الله: ( وجُعلت السُّنة كذلك )أي: السُّنة في حملها على غير معناها وعلى غير الظاهر اللائق بها، (فلما نظرنا في ذلك التفسير)، تفسير الشيخ الصديق حسن ( تبين لنا حسن قصد مُنشِيه)، كيف تَـبـيَّـن ذلك؟

الجواب: الإنسان إذا ألَّـف يا إخواني يظهر تأليفه فيدل على مُراده من تراكيب كلامه وصياغـة جُمله، تبين لنا حسن قصد منشيه لأن الـمُـتـبـيِّـن عالم، والعالم يعرف الكلام حسن قصد منشيه أي: مؤلفه انشأه يعني: ألّـفـه، ( وسلامة عقيدته وتبعده من تعمّد مذهب غير ما عليه السلف الكرام )، ما تعصب للمذاهب المتأخرة.

والتعصُّب أنواع: تعصب فقهي للمذاهب الأربعةأو لغيرها فـيـرُد الأدلة لأجل ذلك أو يأولها لأجل هذا المعنى، أو تعصب لمذهب عقدي كالتعصب لمذهب الرافضة، مذهب الصوفية، مذهب المتكلمين، مذهب الأشاعرة، مذهب الجهمية، ولما رأى أنه في تفسيره يَمضي على ما عليه السلف ويحرص عليهم أثنى عليه به، ( فعلمنا أن ذلك من قبيل قول الله تعالى ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ[ الكهف 65 ] )، وعلمناه من لدنا علما أن هذا من توفيق الله لك أيها النواب الصديق حسن خان وأن هذا من العلم الذي أرشدك الله إليه وعلمناه من لدنا علما:أي سلكنا به العلم الصالح النافع لا أن الله جل وعلا أوحى إليه علما ً لـم يوحيه إلى غيره، والأية وإن كانت في الكهف علمناه أي: أن الله علم الخضر علما من لدنه وهي من الدلائل التي يُستدل بها العلماء على أن الخضر نبيا قد أوحي إليه،

فمراد الشيخ حمد رحمه الله: أن هذا العلم الذي في تفسيرك يدخل في توفيق الله لك وأنه من العلم الذي خصّه الله جل وعلا بأولياءه.

قال الشيخ رحمه الله: ( فالحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا كما يحب ربنا ويرضى )، وهذا من إرجاع الفضل إلى صاحبه، واللهج لله بالحمد والثناء شأن علماء الدعوة، والحمد لله تذكُّرا ً لنعم الله عليهم ( وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم )، هذا اقتباس من القرآن ومن ذلك فضل الله على الإنسان بالعلم والتعلم.

قال: ( فزاد اشتياق التائق ) يعني: نفسه ويعني أهل العلم ومنهم ابنه سعد بن حمد، والتائق أي: المشتاق (وتضاعفت رغبته ولكن العوائق كثيرة والمثبطات مضاعفة)، العائق بين التواصل معك والذهاب إليك والالتقاء بك والجلوس عندك كثيرة والمثبطات النفسيةوالإجتماعية بل والسياسية كثيرة ( والله على كل شيء قدير فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الناس)، هذا أصل في الإيمان بالقضاء والقدر ساقها رحمه الله مساق الاقتباس من السُّنة، ثم ذكر العوائق التي أشار إليها إجمالا ً في قوله: العوائق كثيرة والمثبطات مضاعفة.

( فمن العوائق تباعد الديار وطول المسافات فإن مَقَرَّنا في فلج اليمامة، ومنها خطر الطريق وكثرة القطاع وتسلط الحرامية في نهب الأموال واستباحة الدماء وإخافة السبيل، ومنها ما في الطريق من أهل البدع والضلال بل وأهل الشرك من رافضي وجهمي إلى معتزلي ونحوهم وكلهم أعداء قاتلهم الله:ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ[ الكهف: 10 ]. )

فذكر رحمه الله من العوائق:

الأول: تباعد الديار فإن مقرّنا في فلج اليمامة فيها فَـلْـج وفيها فَـلَـج، جمعها أفلاج وأكبر الأفلاج ليلى يتبع لها أنواع: يتبع لها البديع، يتبع لها الخرفة والهدار، يتبع لها محلات كثيرة،

كما نقول القصيم ماذا فيها؟ فيه: بريدة وعنيزة والرّس والمذنب والبكيرية،

وكما نقول الإحساء ما تشمل: المبرّز والهفوف والعيون وإن كان يطلق الإحساء على الهفوف نفسه، والثاني من هذه العوائق: خطر الطريق وكثرة القطاع وتسلط الحرامية في نهب الأموال واستباحة الدماء وإخافة السبيل،

والثالث: ما في الطريق من أهل البدع والضلال بل وأهل الشرك، والشيخ حمد رحمه الله: ذكر إجمالا ً العوائق الثلاث، العائق الأول: بعد المسافة وتباعد الديار، عرّف النواب أين مقره قال: مقرّنا في فلج اليمامة مع أن بين الأفلاج واليمامة حوالي 300 كيلو متر لكن لكي يقربها لمن؟ للمخاطب، فالمخاطب ما يعرف من نجد من وسطها إلا اليمامة، لأنها جاءت في السُّنة ويعرفها أهل العلم، وفلج اليمامة يعرفها أيضا ًأهل العلم في كتبهم، والفلج هي العين النابعة تسمى فلج وجمعها أفلاج،

ومنها: خطر الطريق وكثرة القطاع قطاع الطرق وتسلط الحرامية في نهب الأموال واستباحة الدماء وإخافة السبيل، بعد المسافات واحد، وخطر الطريق اثنين، ومنها: ما في الطريق من أهل البدع والضلال بل وأهل الشرك، والمسافر في ذاك الزمان إذا كان يريد الذهاب من طريق البر إلى الهند فإنـه لابد له من المرور من طريق العراق وفارس ثم بلوشستان وباكستان ثم إلى الهند وإذا كان يريد الذهاب عن طريق البحر فلابد أن يمر على ديار الرافضة وديار القبورية الذين يعظمون المقامات والقبور والأضرحة من رافضى وجهمى إلى معتزلي، والمعتزلة في مظهرين المظهر الأول: في الإباضية يمر بهم في طريقه، وثانيا ً في تلاميذ المعتزلة من المتكلمين من الماتردية والأشاعرة.

قال رحمه الله: ( وكلهم أعداء قاتلهم الله ) والعداوة عداوة عقيدة، ثم لجأ إلى ربه قائلا ً كما في الآية: ( ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ )، وهذا فيه حسن اقتباس في سياق هذه الآية في مسير وشأن أولياء الله جل وعلا من رسله.

( ومع ذلك فنحن نرجو أن يبعث الله لهذا الدين من ينصره وأن يجعلنا من أهله وأن يسهل الطريق ويرفع الموانع ونسأله أن يَمُنَّ بذلك فهو القادر عليه ولما رأينا ما منَّ الله به عليكم من التحقيق وسعة الاطلاع وعرفنا تمكنكم من الآلات وكانت نونية ابن القيم المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية بين أيدينا ولنا بها عناية ولكن أفهامنا قاصرة وبضاعتنا مزجاة من أبواب العلم جملة وفيها مواضع محتاجة إلى البيان ولم يبلغنا أن أحدًا تصدى لشرحها غلب على الظن أنك تقدر على ذلك فافعل ذلك يكن من مكاسب الأجور وهي واصلة إليك إن شاء الله فاجعل قِراها شرحها وبيان معناها وأصلح النية في ذلك تكن حربا ً لجميع أهل البدع فإنها لم تبق طائفة منهم إلا ردت عليها فهذان مقصدان من بعثها إليك أحدهما شرحها والثاني الاستعانة بها على الرد على أهل البدع لأن مثلك يحتاج إلى ذلك لكونك في زمان الغرابة وبلاد الغربة.)

ففي هذا أن الشيخ حمد رحمه الله قاصد التسبب بهداية النواب، ويقول: (مع ذلك فنحن نرجو أن يبعث الله لهذا الدين من ينصره ) لأن الله أخبر بذلك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث:( إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها )([[4]](#footnote-4))، ( وأن يجعلنا من أهله )، أي: نحن وإياك، ( وأن يسهل الطريق وأن يرفع الموانع )، التي تمنع من حصول المقصود بأن يكون الإنسان من حماة دينه و حملة علمه، ( ونسأله أن يمنّ بذلك فهو القادر عليه )، وهذا فيه اللجوء إلى الله جل وعلا والتواصي به كتابة إلى هذا العالم.

ثم قال الشيخ رحمه الله: ( ولما رأينا ما منّ الله به عليكم من التحقيق )، خاطبه بصيغة الجمع من باب الإجلال والتعظيم، من باب إجلاله وإحترامه وتعظيمه التعظيم الذي يليق به كعالم، ( وسعه الإطلاع ): تحقيق مسائل والتحقيق هو الوصول إلى الحق بدليله، وسعه الإطلاع والنواب هيأ الله له مكتبة عظيمة، ومؤلفاته تدل على سعة اطلاعه، ( وعرفـنا تمكنكم من الآلات )، علوم الآلة كعلم أصول الفقه وعلم اللغة وعلم المصطلح وعلم الحساب في الفرائض وعلوم الفلك هذه من الآلات التي يتوصل بها إلى العلوم الأصلية،

والعلوم الشرعية نوعان:

1 - علوم أصلية: كعلوم العقيدة والفقه والتفسير والحديث.

2 - علوم مساعده آلات إليها: كالمصطلح وأصول الفقه واللغة والحساب.

قال الشيخ رحمه الله: ( وكانت نونية ابن القيم المسماه بالكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية بين أيدينا )، وعلماء الدعوة رحمهم الله قد عنوا بها ولهذا نُسخ النونيه المخطوطة في نجد كثيرة، فـفي مدينة حـائـل وحدها وقفت على أكثر من ست نسخ مخطوطة للنونية، هذا في بلد واحد وفي قطر واحد من أقطار الجزيرة، فكيف بالأقطار الأخرى؟

والشيخ سليمان بن سحمان المشهور رحمه الله تلميذ الشيخ حمد بن عتيق، نسخ لوحده من النونية أكثر من عشرين نسخة لأن العلماء اعـتـنوا بها، ولأنها نظم من أجل المناظيم في العقيدة وهي نحو ستة آلاف بيت ونيـّـف، يقول رحمه الله:( ولنا بها عناية )، العلماء كانوا يعـتـنون بالنونية فيحفظونها ويتدارسونها ويتفهّمونها، ( ولكن أفهامنا قاصرة )، هذا التواضع حيث يقول: فيها مواضع قصرت عنها أفهامنا ما أدركناها، ( وبضاعـتـنا مزجاةمن أبواب العلم جملة )، كما قال الله جل وعلا عن إخوة يوسف: ﭽ ﭰ ﭱ ﭲﭼ[ يوسف 88]،

وفيها مواضع من أبواب العلم جملة أي: فيها أشياء تـخـفى علينا خصوصا ً علم المنطق وعلم التراكيب والفلسفة،

( وفيها مواضع مـحـتـاجة إلى البيان )، أي: في بـيان معنى كلام ابن القيم رحمه الله في نقاشه وفي ردّه ( ولـم يبلغنا أن أحدا ً تصدى لشرحها )، وممن شرح النونية قبل هؤلاء السفاريني رحمه الله لكن شرحه غير مطبوع حسب علمي، والنونية لابن القيم رحمه الله هي خلاصة أربعة كتب من كتب ابن القيم رحمه الله نذكرها مرتبة حسب ورودها في النونية:

1 - كتاب إجتماع الجيوش الإسلامية.

2 - وكتاب الصواعق المرسلة على غزو الجهمية والمعطلة هذا في بقية صفات الله ومباحث التوحيد ومباحث الإيمان والقدر.

3 – وكتاب شرح أسماء الله الحسنى ولـم يُعثر على كتابـه هذا إلى الآن.

4 - وكتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.

قال رحمه الله: ( غلب على الظن أنك تقدر على ذلك):هنا مع أن شيخه الشيخ عبد اللطيف رحمه الله بدأ بشرح النونية لكنه ما أتـمّـها، توفي قبل إتـمامه لها، والشيخ عبد اللطيف توفي قبل كتابة هذه الرسالة، والرسالةُ كتبت عام 1297 هـ قبل رمضان، والشيخ عبد اللطيف توفي عام 1293 هــ، وللفائدة:سماحة المفتي الموجود الآن اسمه: الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، فهو من أحفاد الشيخ عبد اللطيف رحمه الله، ( غلب على الظن أنك تقدر على ذلك )أي: على شرحها، ( فافعل ذلك يكن من مكاسب الأجور )، في الدنيا والآخرة، والسؤال هنا: لماذا الشيخ حمد بن عتيق حث النواب الصديق على شرح النونية؟

الجواب: الشيخ حمد بن عتيق ذكي ويُخاطب عالما ًذكيا ً يريد منه أن يستفيد من هذه النونية في رسوخ قدمه في مذهب السلف وفي الإستعانة بها في الرد على المخالفين لمذهب السلف لأن النونية يعرفها المشايخ، لكن ذكر أمرا ًحـقـا ًفي مواضع مشكلة منها.

والذي عنده علم بالآلة وخاصة علم المنطق والفلسفة والتراكيب يستطيع حلها، فأراد من ذلك أن يـحـثـه على قراءتها وعلى شرحها لعلها تكون سببا ً في رسوخ قدمه ورجوعه إلى دائرة السلف، قال:( وهي واصلةإليك إن شاء الله)، أرسلها مع الخط نونية في 160 ورقة مخطوطة تقريبا ً، أرسلها مع الخط، وهذا المكتوب الرسالة التي أرسلها الشيخ حمد للنواب صديق، حتى لا يجعل له عذر يقول:فيما بعد نقرأها أو فيما بعد نطالعها، فهي واصلةإليك إن شاء الله: علّق ذلك بالمشيئة لأنه أمر مستقبل ﭽﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﮡﮢ ﮣ ﮤﭼ[ الكهف: ٢٣]،

( فاجعل قِـراها شرحها ): القِرى الضيافة، قال: أجعل ضيافتها شرحها لا نريد دراهم منك ولا نريد هدية نريد إكرامها بالضيافة أن تشرحها وتُـبـيِّـن معناها، ( وأصلح النيه في ذلك تكن حربا ًلجميع أهل البدع )، النية اجعلها لله عز وجل ( فإنها )أي: النونية واسمها الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية، ( لم تبق ِ طائفة منهم )أي: من أهل البدع، (إلا ردّت عليها )، رد مجمل ورد مفصل.

( فهذان مقصدان من بعثها إليك ) أي: بعث النونية (أحدهما شرحها، والثاني الإستعانة بها على الرد على أهل البدع، لأن مثلك يحتاج إلى ذلك ) لمنصبك ولعلمك ولبلادك و ( لكونك في زمان الغرابة وبلاد الغربة )، والغرابة: الشذوذات والغرائب بانواعها، وبلاد الهند فيها جميع الأديان والوثنيات والعقائد فهذه بلاد غربة، ثم ذكر له المراجع التي أوصاه بالإستعانة لـه بها لأجل هذا الشرح، والشيخ حمد رحمه الله أراد بذلك منه أن يقرأ هذه المؤلفات لتكون سببا ً لـه لرسوخ قدمه في مذهب السلف الصالح والله اعلم.

( فإن كنت حريصا ً على ذلك فعليك بكتاب العقل والنقل والتسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية وكتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة والجيوش الإسلامية لابن القيم ونحوهن من كتبهما فإن فيها الهدى والشفاء، ولنا مقصد رابع مهم وهو أن هذا التفسير العظيم وصل إلينا في شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين وألف هجرية فنظرت فيه وفي هذا الشهر وفي شوال فتجهز الناس للحج ولم أتمكن إلا من بعضه ومع ذلك وقفت فيه على مواضع تحتاج إلى تحقيق وظننت أن لذلك سببين أحدهما أنه لم يحصل منكم إمعان نظر في هذا الكتاب بعد إتمامه والغالب على من صنف الكتب كثرة ترداده وإبقائه في يده سنين يبديه ويعيده ويمحو ويثبت ويبدل العبارات حتى يغلب على ظنه الصحة غالبا ً ولعل الأصحاب عاجلوك بتلقيه قبل ذلك. والثاني أن ظاهر الصنيع أنك أحسنت الظن ببعض المتكلمة وأخذت من عباراتهم بعضا بلفظه وبعضا بمعناه فدخل عليك شيء من ذلك ولم تمعن النظر فيها ولهم عبارات مزخرفة فيها الداء العضال، وما دخل عليك من ذلك فنقول إن شاء الله بحسن القصد واعتماد الحق وتحري الصدق والعدل وهو قليل بالنسبة إلى ما وقع فيه كثير ممن صنف في التفسير وغيره.)

في هذا المقام يُـحـرّص الشيخ ابن عتيق الصدّيق حسن خان على الاهتمام بتناول النونية شرحا ويبعث همته لذلك، ثم يعطف همته بقوله له: ( فإن كنت حريصا ً على ذلك )، ثم يُشير عليه ببعض المراجع التي تساعده وتعينه على مقصود الشرح، فأرجعه إلى كتب كِـبار في تقرير العقيدة والرد على مخالفيها، حيث نـصّ على ثلاثة كتب هي:

1 – درء تعارض العقل والنقل.

2 – التسعينية، كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

3 –إجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم رحمه الله.

فـفي الأول وهو درء التعارض: مناقشة تفصيلية لأبي عبد الله الرازي الذي هو عمدة متأخري الأشاعرة في الجدال والتأسيس لفلسفتهم، هذا الكتاب الكبير من مؤلفات شيخ الإسلام في الرد على المتكلمين، حيث قال فيه ابن القيم رحمه الله واصفا لـه من نونيته:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| واقرأ كتاب العقل والنقل الذي |  | مـا في الـوجــود لـه نظيــر ثـان |

وهو رد تفصيلي على المتكلم الأشعري الشهير أبي عبد الله الفخر الرازي، وهو مطبوع في عشرة أجزاء.

والثاني كتاب التسعينية: ومضمونه ومرتكزه الرد على الأشاعرة في بدعتهم بالقول بالكلام النفساني، حيث نفوا أن يكون كلام الله سبحانه بحرف وصوت مسموعا ً، بل جعلوه سبحانه متكلما ً بكلام نفسي لم يسمعه منه جبريل ولا محمد ولا موسى ولا غيرهم عليهم الصلاة والسلام، وقد رد عليهم شيخ الإسلام في هذا المضمون من تسعين وجها ً، ولذا سُمّيت بالتسعينية، قال فيها تلميذه ابن القيم رحمه الله واصفا ً لها، في معرض إشادتـه بمؤلفات شيخه ابن تيمية رحمه الله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وكــذاك تـسـعـيـنـيــة فـيـها لــه |  | رد علـى مـن قـال بالنـفسـانـي |
| تسعون وجها بـيـنـت بطلانه |  | أعني كلام النفس ذا الوحدان |

وهو مطبوع في ثلاثة أجزاء محققا ً في أطروحـة دكتوراة.

والثالث: إجتماع الجيوش الإسلامية: هذا كتاب آخر مستقل لابن القيم رحمه الله، وهو في مجلد كبير وهذا الكتاب بناه ابن القيم رحمه الله على موضوع واحد مهم وخطير، وهو إثبات صفة العلو لله جل وعلا التي لـخّـص مضامينها في نحو 700 بـيتا ً في أوائل النونية.

قال رحمه الله: ( ونحوهن من كتبهما فإن فيها الهدى والشفاء ): من كتب شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، وهذا فيه نصح الشيخ حمد بن عتيق لهذا العالِم.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تصانيفه عظيمة، سبحان الله العظيم من قرأ فيها وهو متأهل وعنده الأداة العلمية فإنه بإذن الله يشفى من الشبهات، كما ويقنع بمذهب أهل الحق مذهب أهل السُّنة والجماعة، لأن الله قـيـّض هذين الرجلين يدافعان مدافعة مستميتة على هذا المذهب، وهو أشار إلى بعض الكتب من كتب شيخ الإسلام رحمه الله الكِبار، والتي منها أيضـا ً: ( منهاج السنة النبويةفي نقض كلام الشيعة والقدرية )، وهذا كتاب عظيم في مناقشة الروافض ومناقشة المعتزلة مع الاستطرادات عند شيخ الإسلام رحمه الله في نقاشه غيرهم، ومسائل علمية أخرى، وكتب شيخ الإسلام يمكن أن نقسِّمها إلى ثلاثة مستويات،

المستوى الأول: مختصرات كالواسطية، والحموية، والتدمرية، والواسطة بين الحق والخلق، والعبودية، والقاعدة المراكشية، والرسالة الأكملية، وأمثالها.

والمستوى الثاني: كتب متوسطات كالنبوات، وبغية المرتاد وهي السبعينيةفي الرد على ابن سبعين وغلاة التصوف، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، والإستقامة في مناقشة القشيري، والفرقان بين الحق والباطل، وشرح الأصفهانية وأمثالها، وعلى هذا أكثر تآليف شيخ الإسلام.

والمستوى الثالث: مطولات، وكتبه المطولات منها كتاب: درء تعارض العقل والنقل ويسمى موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، ويسمى بكتاب العقل والنقل وهو الذي أقامه على قاعدة أن العقل والنقل لا يتعارضان، وكتاب: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، وكتاب بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، الذي يقول فيه ابن القيم رحمه الله في النونية:

وكذلك التأسيس أصبح نقضه اعجوبة للعالم الرباني

أما أكبر كتب شيخ الإسلام رحمه الله والتي بسط فيها الخلاف كتاب لم يُطبع بعدُ، إلا قطعة يسيرة منه، فيُسمى: بأجوبةالإعتراضات المصرية على العقيدة الحموية، وهذا الكتاب أقل ما قيل فيه أنه يقع في أربعة مجلدات مخطوطة كبار، هذا أقل ما قيل فيه، وقيل إنه أكبر من ذلك، يقول ابن القيم رحمه الله في النونية واصفا ً هذا الكتاب:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وكذاك أجوبة له مصرية |  | في ست أسفار كتبن سمان |

وهذه الكتب المطولة تصلح للمـنـتـهـيـن لأن فيها نقاش عميق، وأكثر من ناقش شيخ الإسلام ورد فيها على شخص واحد، يسوى عند أهل مذهبه وجماعته يسوى العين والبصر، وهو أبو عبدالله فخر الدين الرازي، ونقاش الشيخ معه ليس نقاش اسفاف واحتقار وازدراء، لأن الاسفاف وسوء الكلام بضاعة الجاهل وضعيف العلم، إنما نقاش ورد علمي بأدب العلماء ومنهجهم والتي طبقها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مع الرازي ومع الغزالي ومع غيرهما من مخالفيه من العلماء، والشيخ ينزله منزلته حيث يقول: قال أبو عبد الله، قال فخر الدين، قال الرازيُّ..... وهكذا، وأكثر فتاوي شيخ الإسلام تكون من المستوى الأول: إما فتوى في مسألة خاصة فقهيةأوعلمية ما يطيل فيها، هذا مجمل مؤلفاته رحمه الله.

يقول الشيخ حمد رحمه الله: ( ولنا مقصد رابع مهم )أي: من هذا التواصل معك بالكتابة إليك، ( وهو أن هذا التفسير العظيم )، تفسير البيان في مقاصد القرآن الذي ألّفه الشيخ الصديق حسن خان ( وصل إلينا في شعبان سنة 1297 هـ )أي:قبل موت الشيخ حمد رحمه الله بنحو أربع سنين، لأن وفاته كانت سنة 1301 هــ،

يقول رحمه الله: جاءنا هذا التفسير ( فنظرت فيه في هذا الشهر: في شهر شعبان وفي رمضان وفي شهر شوال، فتجهز الناس للحج )، دلَّ هـذا على أن الواسطة بينهم بالرسائل عن طريق الحجاج - ليس هناك وسائل أخرى، لا فاكس ولا هاتف ولا غيرها -، حيث يرسل الكتاب مع الحجاج و يعطونه الحجاج علماء الهند وهم من جاءوا من تلك الجهة يوصلونه، وثمة وسيلة أخرى عبر التجار والطلبة المتوجهين إلى الهند، لكنها نادرة، وغير متصلة دائما ً، وغير متفقة كلما أراد.

قال رحمه الله: ( فـتجهز الناس للحج ولم أتـمـكـن إلا من بعضه )، يعتذر الشيخ حمد يقول: ما قرأتـه كله، ( ومع ذلك وقفت فيه على مواضع تحتاج إلى تحقيق )، وقفت على مواضع فيها غلط وفيها مخالفة لمذهب أهل السُّنةوالجماعة من تأويل وتـحـريف، فتأملوا كيف أحسن الظن بالعالم، فهذا كلام ( مدفع التوحيد ) الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله، ولم يقل يا الفاعل يا التارك يا الجهمي يا الذي بك وبك،

إنما قال رحمه الله: وقفت فيه على مواضع تحتاج إلى تحقيق، هذا هو الأدب العلمي السلفي، الذي نـتـج عن تربية ومنهجية علمية سلفية قامت عليها دعوة إصلاحية مباركـة.

والتحقيق هو: الغوص في غور المسألة والوصول فيها إلى العلم المبني على الأدلة لا على التقليد أوعلى إحسان الظن بمن هو أكبر منه،

يقول الشيخ رحمه الله: (وظـنـنت أن لذلك سبـبـيـن )أي: هذه المواضع التي ما حـقّـقت فيها الكلام واخطأت مرد ذلك لسبـبـين وهذا فيه إعتذار للعالِم الذي لـه حسنات ولـه قدمُ صدق في الإسلام وفي العلم،

1 – ( أحدهما:أنه لم يحصل منكم إمعان نظر في هذا الكتاب بعد اتـمامه )، انظركيف اعتذر لهذا الخطأ الذي وقع منه:أنك ما دقّـقت في الكتاب وحرّرت وراجعت،

قال الشيخ رحمه الله:( والغالب على من صنف الكتب كثرة ترداده وإبقائه في يده سنين يبديه ويعيده ويمحو ويثبت ويبدل العبارات حتى يغلب على ظنه الصحة غالبا، ولعل أصحابك ) وطلابك ومـحـبِّـيك ( عاجلوك بتلقيه قبل ذلك )، فالتمس له عذرا ً استعجاله بهذا،

هذا الإعتذار فيه أولا ً: في وجود هذه الهنات والملاحظات خصوصا ً في باب العقيدة.

2 - السبب الثاني الذي عَذَر به الشيخ حمد بن عتيق النواب فيما جاء فيه من الهنات: (أن ظاهر الصنيع أنك أحسنت الظن ببعض المتكلمة )، دل ّهــذا على أن المسائل المتعقبة والملاحظات التي وُصِفَت بأنها لـم تُـحـقّـق من قِـبَـل النواب هي: في أمور الصفات وأمور العقيدة التي أحسن فيها النواب الصديق حسن خان الظن ببعض المتكلمة ( فأخذ عباراتهم بعضها بلفظه وبعضها بمعناه )،

قال الشيخ رحمه الله: ( فدخل عليك شيء من ذلك ولم تمعن النظر فيها ولهم عبارات مزخرفة فيها الداء العظال )، أي: في ظاهرها تـنـزيه الله عن النقائص وفي باطنها نفي الصفات عن الله، الصفات الإختيارية.

حيث يقولون: الله ما استوى على عرشه لأن الذي يستوي هو الأجسام، والله ليس بجسم، إذن فالله ما استوى على عرشه وهكذا، ( وما دخل عليك من ذلك ) أي: في التأويل في تفسيرك هو من ذلك، ( فنقول إن شاء الله بحسن القصد واعتماد الحق وتحري الصدق والعدل )، ما أرتكبت خطأ عمدا ً وقصدا ًإنما أنت تريد الحق لكن ما توفـقت وأصبت إليه، ( وهذا قليل بالنسبةإلى ما وقع في كثير ممن صنف في التفسير وغيره )،

كثير ممن صنف في التفسير يحسن الظن أو يتبع مذهب أهل الردى ثم يأول كلام الله على غير معناه، ثم ذكر قاعدة عامة في كتب التفاسير،

والتفسير: هذا الفن العظيم عظم شرفه لشرف مضمونه وهو الحفاوة والعناية بفهم وتفهّم كلام الله جل وعلا، ولهذا أصول العلم: التفسير وهو فهم القرآن والحديث وهو جمع وفهم حديث النبي عليه الصلاة والسلام، والفقهان الأكبر والأصغر علم العقيدة وعلم الفقه، هذه هي أصول العلم وما سواها من العلوم هي آلات مساعدة لهذه الأصول أصول العلم.

( وإذا نظر السني المنصف في كثير من التفاسير وشرح الحديث وجد الذي قلته وما هو أكثر منه وقد سلكتم في هذا التفسير في مواضع منه مسلك أهل التأويل مع أنه قد وصل إلينا لكم رسالة في ذم التأويل مختصرة وهي كافية ومطلعة على أن ما وقع في التفسير صدر من غير تأمل وأنه من ذلك القليل، وكذلك في التفسير من مخالفة أهل التأويل ما يدل على ذلك. وأنا اجترأت عليك وإن كان مثلي لا ينبغي له ذلك لأنه غلب على ظني إصغاؤك إلى التنبيه ولأن من أخلاق أئمة الدين قبول التنبيه والمذاكرة وعدم التكبر وإن كان القائل غير أهل. ولأنه بلغني عن بعض من اجتمع بك أنك تحب الاجتماع بأهل العلم وتحرص على ذلك وتقبل العلم ولو ممن هو دونك بكثير فرجوت أن ذلك عنوان توفيق جعلك الله كذلك وخيرا ًمن ذلك.)

انظروا كيف الشيخ حمد رحمه الله: يتلطف ويتأدب ويحسن مخاطبة هذا العالم وهذا اللائق بطالب العلم أن يكون أسلوبه مع أهل العلم هذا الأسلوب الراقي،

نحن ليس همّنا تكسير الرؤوس أو تقطيع اللحوم أو خـزم الخشوم، إنما همّنا أن نهدي بما هدانا الله به الخلق إليه هذا هومقصدنا وهذا لا يتأتـّى إلا بهذا الأسلوب الحسن الواضح، والأصل فيه قول الله جل وعلا في هؤلاء الدعاة من رسله عليهم الصلاة والسلام:ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﭼ[طـه: ٤٤]

إذا كان هذا في أعدى أهل الأرض، فكيف بأهل العلم !!

يقول الشيخ حمد رحمه الله:( وإذا نظر السُنّي المنصف ) لأن من أهل السُّنة من ليس مُنصفا ًإنما يتبع هواه فيغلو إما بالنقد والجرح أو يغلو بالمدح والتغاضي عن الأخطاء، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

قال: ( وإذا نظر السُنّي المنصف في كثير من التفاسير وشرح الحديث )أي: كتب الشرح، ( وجد الذي قلته وما هو أكثر منه ) قله هذا التحقيق وما هو أكثر منه، ( وقد سلكتم في هذا التفسير في مواضع منه مسلك أهل التأويل ) من الماتردية والأشاعرة ( مع أنه قد وصل إلينا لكم رسالة في ذم التأويل مختصرة )، ذم تأويل كلام الله بصرفـه عن معناه الظاهر إلى ما عليه المتكلمون والمتأولون، ( وهي كافية ومطلعة على أن ما وقع في التفسير صدر منكم من غير تأمل وأنه من ذلك القليل ) لأنك تذم التأويل ومع ذلك وقعت في بعض المسائل منه،

فهذا موجب إحسان الظن بك ( وكذلك في التفسير من مخالفةأهل التأويل ما يدل على ذلك )،

وهذاالموضع الثاني: الذي يجعلنا نحسن الظن بك أن في تفسيرك مخالفة لأهل التأويل كما أوّلوا في بعض الصفات.

طريقة العلماء إذا جاءهم الكتاب في التفسير أو الحديث يفحصونه حتى يعرفون هل هذا على أعتقادأهل السُّنة أو لا، ماذا يفعلون؟

الجواب: يختبرونه ويفحصونه فيذهبون إلى مواضع أدلة الصفات في التفسير وينظرون كلام العالم فيها ما هو، فـيَـتـبـيَّـن بـه مذهبه، وأنـا أذكر في التفسير إذا أردنا أن نكشفه أول ما نـنـظُـر موضع الاستواء في سورة الأعراف أو في طـه فنكشف هل هو مأول أو غير مأول، ثم مواضع التوحيد.

ولهذاأذكر في كتاب سيد قطب في ظلال القرآن عند كلامه في تفسير الاستواء كلام مجمل وهو في الجملة طيب، لكن في بعض المواضع كشفت عندنا المواضع التي فيها غلط، كتفسيره لسورة الإخلاص، فقد جاء فيها بشيء عجيب، وقد قرأت أذكر الموضع هذا على شيخنا الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله فتعجب وقال سبحان الله هذا كلام أهل وحدة الوجود، لكن بعض الناس في اتساع العبارة يتسع ويزيد وينقص، المقصود أن هذه المواضع يكشف فيها طالب العلم والعالم الكتاب الذي أمامه هل هو على الجادة أو لا.

يقول الشيخ رحمه الله: (وأنا اجترأت عليك ): هذه المسائل أريدأن يتفهّمُهاإخواني طلبة العلم، لأن فيها أدب العالِم مع المخالف، يقول: ( وأنا اجترأت عليك وإن كان مثلي لا ينبغي له ذلك )، يحاول الشيخ حمد رحمه الله: أن يهضم نفسه ويُعلي قدر مخاطبه تأليفا ً له على الحق وعلى الرجوع إلى جادة أهل السُّنة، ( لأنه غلب على ظني إصغاؤك إلى التـنـبـيـه ولأن من أخلاق أئمةالدين قبول التنبيه والمذاكرة )أي: التنبيه على الغلط والمذاكرة المباحثة والمناقشة، ( وعدم التكبر وإن كان القائل غير أهل )، لأن هدف أئمة الدين هو الوصول إلى الحق، ( ولأنه بلغني عن بعض من اجتمع بك أنك تحب الاجتماع بأهل العلم وتحرص على ذلك وتقبل العلم ولو ممن هو دونك بكثير).

كأن الشيخ حمد رحمه الله يقول:أنا أقل منك في العلم فلا تجدنَّ في نفسك عليّ أن نبّهتك على بعض الأغلاط المتعلقة بالتوحيد وفي صفات الله وأسماءه، ( فرجوت أن ذلك عنوان توفيق، جعلك الله كذلك وخيرا ً من ذلك )، رجوت أن يكون هذا من التوفيق الذي جعله الله عز وجل لك وبك وهو قبول الحق والتحرِّي وعدم رد الحق ممن جاء به.

( واعلم أرشدك الله أن الذي جرينا عليه أنه إذا وصل إلينا شيء من المصنفات في التفسير أو شرح حديث اختبرناه واعتبرنا معتقده في العلو والصفات والأفعال فوجدنا الغالب على كثير من المتأخرين أو أكثرهم مذهب الأشاعرة الذي حاصله نفي العلو وتأويل الآيات في هذا الباب بالتأويلات الموروثة عن بشر المريسي وأضرابه من أهل البدع والضلال ومن نظر في شروح البخاري ومسلم ونحوهما وجد ذلك فيها، وأما ما صنف في الأصول والعقائد فالأمر فيه ظاهر لذوي الألباب فمن رزقه الله بصيرة ونورًا وأمعن النظر فيما قالوه وعرضه على ما جاء عن الله ورسوله وما عليه أهل السنة المحضة تبين له المنافاة بينهما وعرف ذلك كما يعرف الفرق بين الليل والنهار، فأعرض عما قالوه وأقبل على الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وأئمتها ففيه الشفاء والمقنع وبعض المصنفين يذكر ما عليه السلف وما عليه المتكلمون ويختاره ويقرره، فلما اعتبرنا هذا التفسير وجدناك وافقتهم في ذكر المذهبين وخالفتهم في اختيار ما عليه السلف وتقرره وليتك اقتصرت على ذلك ولم تكبر هذا الكتاب بمذهب أهل البدع فإنه لا خير في أكثره وما فيه من شيء صحيح فقد وجد في كلام السلف وأئمة السنة ما يغني عنه بعبارات تنشرح لها الصدور.)

وهذا دخول من الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله في المناقشة العلمية للكتاب يقول: (واعلم أرشدك الله )، وهذه طريقة علماء الدعوة الإصلاحية في الكتابة والرسائل يقولون في ديـباجـتـها: اعلم رحمني الله وإياك، اعلم أرشدك الله لطاعته، ( أن الذي جرينا عليه أنه إذا وصل إلينا شيء من المصنفات ) أي: المؤلفات، ( في التفسير أو شرح الحديث )أي: كتب الشروح، ( أختبرناه واعتبرنا معتقده )، أي: معتقد صاحبه في هذه المسائل الثلاث:

الأولى: ( في العلو ) أي: علو الله عز وجل هل يثبته أو لا يثبته.

الثانية:( في الصفات ) أي: صفات الله عز وجل هل يثبتها أو يأولها.

الثالثة:( في الأفعال ) أفعال الله جل وعلا وهي الصفات الفعلية كالنزول والمجيء والغضب والرحمة........إلخ.

قال الشيخ رحمه الله: ( فوجدنا الغالب على كثير من المتأخرين أو أكثرهم )، والمتأخرون من جاءوا بعد السلف الصالح مخالفين لمنهجهم، وهم الخلف، خصوصا ً من شرّاح الأحاديث وأمثالهم وجدنا الغالب عليهم ( مذهب الأشاعرة )، الأشاعرة: هم المنتسبون إلى قول أبي الحسن الأشعري الثاني قبل رجوعه الأخير إلى مذهب أهل الحديث وقوله بقول الإمام أحمد رحمه الله، وهي طريقة الكلابية، ( الذي حاصله نفي العلو ) حاصل مذهبهم نفي العلو وأن الله في كل مكان، ( وتأويل الآيات في هذا الباب ) والصفات، استوى قالوا: استولى، الله ينزل، قال: لا، يُنزل مَلكا أوأمره، (بالتأويلات الموروثة عن بشرالمريسي وأضرابـه )، بشرالمريسي هذا الجهمي الذي نفى كلام الله ونفى صفاته، قال: إن الله لم يكلم موسى تكليما ولم يتخذ إبراهيم خليلا، وهي موروثة عن الجهم الذي أخذها عن الجعد بن درهم، ( من أهل البدع والضلال ) من جهمية ومعتزلة ومتكلمة وفلاسفة.

قال رحمه الله: ( ومن نظر في شروح البخاري ومسلم ونحوهما وجد ذلك فيها )، فصحيح البخاري رحمه الله شروحه كثيرة أكثر من 300 شرحا ً، وأعظمها شرح ابن حجر ( فتح الباري )، وشرح الحافظ العيني المسمّى (عمدة القارئ )، ومع ذلك فقد وقع فيهما هذا الأمر الذي أشار إليه الشيخ حمد رحمه الله.

وصحيح مسلم أعظم شروحه هـو شرح النووي ومع ذلك فيه هذه الهنات التي ذكرها الشيخ حمد رحمه الله، ( وأما من صنّـف في الأصول والعقائد )، أصول الدين المراد بالأصول هنا: أصول الدين وليس أصول الفقه، إلا ما يدخل تبعا ً مما يذكرونه في أصول الفقه من قاعدة أن الخبر خبر الآحاد لا يفيد اليقين وأمثالها، ( فالأمر فيه ظاهر لذوي الألباب).

طريقة تصنيف الأشاعرة كتاب أصول الدين والعقائد ظاهر فيها مذهبهم والماتردية والجهمية والمعتزلة، (فمن رزقـه الله بصيرة ونورا ً، وأمعن النظر فيما قالوه وعرضه على ما جاء عن الله ورسوله وما عليه أهل السُّنة المحضة، تـبـيـن لـه المنافاة بينهما) أي: التأويلات في هذه الأبواب أبواب العقيدة مع ما عليه كلام الله وكلام رسوله وأهل السُّنة المحضة، والمحضة أي: الخالصة لأنه يَـنـتسِب للسُّنةأشعري، ويَـنـتـسِب للسُّنةماتريدي، ويَـنـتـسِب للسُّنة صوفي وغيرهم، لكن المراد بها السُّنة المحضة الخالصة.

قال رحمه الله: (عَرف ذلك كما يعرف الفرق بين الليل والنهار ) لكن لمن رزقه الله البصيرةأما من جعل الله عليه عمى وتعصب ما يفقه لهذا،

قال: ( فأعرض عما قالوه ) أُتـرُك هذه المقولة التي قالها المتأخرون من مُأوِّله ( وأقبل على الكتاب والسُّنة وما عليه سلف الأمة وأئمتها ففيه الشفاء والمقنع ).

انظروا:ما قال الشيخ حمد رحمه الله أقبل على الكتاب والسُّنة بفهم سلف الأمة، إنما قال ما قاله العلماء، ونحن مشكلتنا الآن اصبحنا نزيد وننقص من كلام العلماء ونوالي على ذلك ونعادي عليه، بحثت وجدت العلماء السابقين قالوا الكتاب والسُّنة على طريقة السلف فيها، والسلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان رحمهم الله، هكذا يُقرّر محققوا العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وابن رجب وابن حجر ومحمد بن عبد الوهاب وعلماء الدعوة رحمهم الله.

يقول الشيخ رحمه الله: وأقبل على الكتاب والسُّنة وما عليه سلف الأمة وأئمتها يعني: ما عليه سلف الأمة في أستدلالهم بالقرآن وأخذهم بـه وأستدلالهم بالسُّنة وأخذهم بها مـا ابتدع سلف الأمة وأئمتها أئمة العلم ومنهم الأئمة الأربع، ففيه الشفاء والمقنع.

قال رحمه الله: (وبعض المصنفين ) ذكر ملاحظته على تفسيره وغيره، ( يذكر ما عليه السلف وما عليه المتكلمون ) يذكر مثلا ً: مذهب السلف في العلو واثباته وما عليه المتكلمون والمحققون تأويله، ثم يذهب (ويختاره ويُقرّره فلما اعتبرنا هذا ) الأصل في ( التفسير وجدناك وافقتهم في ذكر المذهَـبَـيْـن ):مذهب أهل السلف ومذهب المتأخرين، ( وخالفتهم في أختيار ما عليه السلف وتُقرِّرُه ) قد تُقرّر مذهب المتأخرين وتدع مذهب السلف، ( وليتك اقتصرت على ذلك ولم تكبر هذا الكتاب بمذهب أهل البدع ).

في مواضع رجّح فيهاالنواب مذهب السلف وفي مواضع رجّح فيها مذهب الخلف، قال الشيخ ابن عتيق رحمه الله: ليتك اقتصرت على مذهب السلف وتركت الباقين، وتركت الكلام عن ذكر مذهبهم بالكلية لأن في مذهب السلف غُنية عن مذهب غيرهم ولم تكبّر هذا الكتاب بمذهب أهل البدع، ( فإنه لا خير في أكثره وما فيه من شيء صحيح ) أي: من مذاهب أهل الكلام وأهل البدع وأهل الأهواء ( فقد وُجِـدَ في كلام السلف وأئمة السُّنة ما يُغني عنه بعبارات تـنـشـرح لها الصدور )، وفي تقرير الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتابه:( فضل علم السلف )مثل هذا الكلام،

فالسلف رحمهم الله: كلامهم قليل وعِلمَهم عظيم، والخلف كلامهم كثير وعلمهم قليل !! يقول: ما كان من حق عند المتأخرين فإن كلام السلف دل عليه بعبارات أوضح وأخصر تنشرح لها الصدور.

( وقد يكون لكم من القصد نظير ما بلغني عن الشوكاني رحمه الله لما قيل له لأي شيء تذكر كلام الزيدية في هذا الشرح؟ قال ما معناه لآمن الإعراض عن الكتاب ورجوت أن ذكر ذلك أدعى إلى قبوله وتلقيه وقد قيض الله لكتب أهل السنة المحضة من يتلقاها ويعتني بها وأظهرها مع ما فيها من الرد على أهل البدع وعيبهم وتكفير بعض دعاتهم وغلاتهم، فإن الله قد ضمن لهذا الدين أن يظهر على الدين كله.)

العذر الأخير الذي ذكره الشيخ حـمـد رحمه الله مما وقع في تفسير النواب الصديق حسن خان رحمه الله من الهنات والملاحظات والتنبيهات، قال: ( وقد يكون لكم من القصد ) في ذكر مذاهب أهل البدع مع مذاهب أهل السُّنة ( نظير ما بلغني عن الشوكاني رحمه الله ).

الشوكاني محمد بن علي كان متقدما ًعلى الشيخ حمد رحم الله الجميع، وقد توفي عام ( 1250 هـ ) وعاصر كبار المشايخ واثنى على الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابـه: (البدر الطالع )، ( لما قيل لـه لأي شيء تذكر كلام الزيدية في هذا الشرح )، أي: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، ذكر في هذا الشرح كلام الزيدية والهادوية،

قيل للشوكاني رحمه الله: كيف تأتي بكلام الزيدية مع كلام أهل السُّنة، ماذا تريد بهم هؤلاء من أهل البدع وكلامهم لا ينفع، ( قال ما معناه:لآمن الإعراض عن الكتاب ) أي: حتى لا يعرضوا الزيدية عن كتابي فيقرأونه يتبعون الدليل،

فقال الشيخ ابن عتيق رحمه الله:ربما هذا هو مقصدك - يا النواب الصديق حسن خان - لأنك ذكرت في تفسيرك أقوال أئمة الكلام والمتأخرين المتأولين حتى ما يهجرون كتابك، وهذا فيه من إحسان الظن به، ( ورجوت ) أنت ( أن ذكر ذلك أدعى )عند هؤلاء المتأخرين ( إلى قبوله وتلقيه وقد قيض الله لكتب أهل السُّنة المحضة من يتلقّاها )، كتب الإمام أحمد والشريعة للآجري والسُّنة لللالكائي والإبانـة لابن بطة وأمثالها رحمهم الله، من يتلقاها، ( ويـعـتـني بها وأظهرها مع ما فيها من الرد على أهل البدع وعيبهم وتكفير بعض دعاتهم وغلاتهم ) من ذلك تكفير الجهمية، يقول ابن القيم رحمه الله في النونية:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ولقد تقلد كفرهم خمسـون في |  | عشـر مـن العلماء في البلــدان |
| واللالـكــائـــي الامام حكاه |  | عنــهم بل حكاه قبله الطبراني |

فاللالكائي ذكر تكفيرهم في شرح أصول السُّنة، وكذا الحافظ الطبراني في كتابـه: كتاب السُّنة، ( فإن الله قد ضمن لهذا الدين أن يظهر على الدين كله )، وقد استفاض عن الإمام أحمد رحمه الله تكفير الجهمية في كتاب السُّنة لــه، ورواها عنه كثيرون، بل كفر الإمام أحمد معيّنين من الجهمية كابن أبي دؤاد، كما نقله عنه بسنده الخلال والخطيب البغدادي في تاريخه.([[5]](#footnote-5))

( والمقصود: أن في هذا التفسير مواضع تحتاج إلى تحقيق ولنذكر بعض ذلك فمنه أني نظرت في الكلام على آية الاستواء فرأيتك قد أطلت الكلام في بعض المواضع بذكر كلام المبتدعة النفاة كما تقدم، ومنه أن في الكلام تعارضا ً كقولكم في آية يونس: وظاهر الآية على أنه سبحانه إنما استوى على العرش بعد خلق السماوات والأرض لأن كلمة [ثم] للترتيب، ثم قلتم في سورة الرعد وثم هنا لمجرد العطف لا للترتيب لأن الاستواء عليه غير مرتب على رفع السماوات، وكذلك قلتم في سورة السجدة وليست ثم للترتيب بل بمعنى الواو. فلينظر في هذا من وجهين: أحدهما أن ظاهره التعارض، الثاني: أن القول بأن ثم لمجرد العطف لا الترتيب في هذه الآيات، إنما يقوله من فسر الاستواء بالقهر والغلبة وعدم الترتيب ظاهر على قولهم، وأما السلف وأئمة السنة وأهل التحقيق فقد جعلوا اطراد الآيات في جميع المواضع دليلا ًعلى ثبوت الترتيب وردوا به على نفاة الاستواء وأبطلوا به تأويلاتهم كما هو معروف ومقرر في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره فانظر من أين دخلت عليك هذه العبارات.)

قال رحمه الله: ( والمقصود أن في هذا التفسير مواضع تحتاج إلى تحقيق ): حيث ذكر الملاحظة الإجمالية ثم دخل بعدها في التفصيل في هذه المواضع التي أشار إليها، ( ولنذكر بعض ذلك ) أي: بعض الملاحظات التفصيلية التي وعده أن يُـبـيِّـنـها مما ذكره في تفسيره، وهي كما قـرّر:إما إحسانا ً للظن بمن نُقِلَت عنه أو أنها مـما خَفيت عليه بإشتباه كلام هؤلاء فذكر منها موضع آيات الاستواء.

وقد مرّ معنا أن الشيخ رحمه الله يقول:إذا جاءنا تفسير أو كتاب من هذه الكتب فحصناه ومعنى فحصناه أي: نظرنا في المواضع التي فيها الكلام على الصفات ثم نـتـبـيّـن طريقته ومنهجه، أي: هل هذا الكتاب على طريقة السلف؟ ومنهجهم؟ أو على طريقة الخلف؟

يقول رحمه الله: ( فمنه أني نظرت في الكلام على آيـة الاستواء )، هذا وللعلم - يا إخواني - الله سبحانه وتعالى ذكر الاستواء في القرآن في سبعة مواضع:

في الأعراف وهي أول المواضع وفي سورة يونس وفي الرعد وطه والفرقان وألـم تنزيل السجدة وفي الحديد، فـفـي ستة مواضع منها يقول جل وعلا:ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽﭾﭼ، ثُم الدّاله على الترتيب، وفي آيـة طـه:ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﭼ،

يقول الشيخ رحمه الله: ( رأيتك قد أطلت الكلام في بعض المواضع بذكر كلام المبتدعةالنفاة كما تقدم )،

كما تقدم: هذا عُذر من الشيخ حمد للشيخ النواب أي: من إحسانك الظن به، (ومنه )أي: من الملاحظات ( أن في الكلام تعارضا ً............ إلخ ) لأنك قلت: إن في آيـة يونس ثم استوى على العرش أنها للترتيب وترتيب الاستواء كان بعد خلق السماوات، ثم قلتم في آيـه الرعد وفي كذلك المواضع الأخرى أنها ليست للترتيب وإنما لمجرد العطف، أي: أن ثُم لمجرد العطف،

وهذه مسألة دقيقة - يا إخواني - لأن حقيقة مذهب النفاة من المتكلمين والأشاعرةوالماتردية أن العطف ( بثُم ) على اعتبارها أنها للعطف، والاستواء عندهم معناه: الاستيلاء والقهر والغلبة، وهذه ليس له علاقة بما قبله ولا بـمـا بعده، فيكون الاستواء هذه الصفه الفعلية في علو الله على عرشه كان بعد خلق السماوات والأرض.

وهذا الباب الدقيق الذي دُخِـل َ منه على المؤلف الصديق حسن خان رحمه الله، ولهذا قال فلينظر في هذا من وجهين:

1 – ( أحدهما:أن ظاهره التعارض )، مرة تقول أنها للترتيب ومرة تقول أنها لمجرد العطف فهذا يعارض هذا، ولأن( ثُم ) في لغة العرب تفيد العطف والترتيب، وإلا لو كانت لمجرد الترتيب كانت مثل الواو، الفاء الآن تقول:جاء محمد فزيد ماذا تدل عليه؟

تدل على العطف والتعقيب ففيه العطف أنه جاء محمد وزيد لكن مجيء زيد بعد محمد مباشرة، تعقيب بالمباشرة، تقول جاء محمد ثم زيد تفيد أن فعل المجيء جاء من الاثنين محمد وزيد لكن(ثُم زيد ) جعلت مجيء محمد سابق لمجيء زيد،

2 - يقول المعنى الثاني:إن القول بأن ثُم لمجرد العطف لا الترتيب هذا يُشعر بمذهب من فسَّروا الاستواء بالقهر والغلبة، وهو قول كل النفاة حتى المعتزلة قالوا ذلك.

لأن المعتزلة يقولون في القرآن وهم لابد أن يأولونه، قالوا معناها: استولى عليه وقهره وغلبه، كما قال الشاعر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قد استـوى بشـر على العـراق |  | من غيـر سيـف أو دم مهـراق |

فهذا يفضي إلى قول هؤلاء أما قول أهل السُّنة بأن ( ثُم ) للترتيب مع العطف يبطل أن يكون معناها القهر والغلبة، فيكون معناها علو الله على عرشه وارتفاعه وصعوده واستقراره عليه بعدما خلق السماوات السبع ورفعها بغيرعمد.

هذه العبارة التي دُخِلَت على النواب قال مثلها أبو عبد الله الرازي ابن خطيب الري، كما نقل عنه ذلك شيخ الإسلام رحمه الله عن كتابه:( المحصَّل ).

والفخر الرازي لـه كتاب اسمه: (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين )، وهو من أهم مؤلفاته، وصار عمدة للمتأخرين من الفلاسفة والمتكلمين والأشاعرة، وقد طبع قديما ًبمصر سنة ( 1323هـ )، وقد شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بكتاب اسمه: ( شرح أول المحصّل )، وقد ذمّ شيخ الإسلام كتاب الرازي هذا فقال في منهاج السُّنة:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| محصل في أصول الدين حاصله |  | من بعد تحصيله أصل بلا دين |
| أصل الضلالات والشك المبين فما |  | فيــه فأكثــره وحــي الشياطين([[6]](#footnote-6)) |

لكن هذا الكتاب لـم يطبع بعدُ، إنما ينقل عنه مقولات في كلام الشيخ وفي كلام أصحابه و طلابه.

( وقد رأيت للرازي عبارة في التفسير تفهم ذلك، فلعلك بنيت على قوله وهذا الرجل وإن كان يلقب بالفخر فله كلام في العقائد قد زل فيه زلات عظيمة وآخر أمره الـحَـيْرة نرجو أنه تاب من ذلك ومات على السنة. فلا تغتر بأمثال هؤلاء.)

انظروا كيف الشيخ حمد رحمه الله انصف الفخر الرازي، وتلطّف بالعبارة مع النواب حيث يقول:أنا رأيت كلاما ً مثل كلامك هذا لأبي عبد الله الرازي، ( فلعلَّك بنيت على قوله ) من باب ما سبق من ذكر العُذر بإحسانه الظن به، ( وهذا الرجل ) أي: الرازي ( وإن كان يلقب بالفخر ) أي: فخر الدين، لأنه بَهر الناس في زمانه بعلومه خصوصا ً من اتباع مذهب الأشاعرة والمتكلمين،

والرازي يُعدّ فيلسوف الأشاعرة، ولهذا هو الذي جَـرَّ المذهب الأشعري إلى الفلسفة كما نقول أن القشيري وأبو حامد الغزالي جرّوا المذهب إلى التصوف([[7]](#footnote-7))

، فإن الرازي هو الذي جَـرّ المذهب إلى الفلسفة.

قال الشيخ رحمه الله: ( وإن كان يلقب بالفخرفله كلام في العقائد قد زل فيه زلات عظيمة ) ما جامل ومن أعظم زلاته أنـَّـهُ ألّف كتابا ً سماه: ( السر المكتوب في إثبات مخاطبة الأفلاك والنجوم )، يقول شيخ الإسلام رحمه الله عنه: وقد ملأه بالشرك والالحاد والله يعفو عنا وعنه.

قال الشيخ رحمه الله: ( وآخر أمره الـحَـيـرة ) آل أمره - انظروا كيف الانصاف - إلى الـحَـيـرة، والحقيقة الـحَـيـرة ثم بعدها تاب لأن: له كتاب اسمه: (أقسام اللذات ) وهو آخر كتبه - عفا الله عنه - يقول فيه أبو عبد الله الفخر الرازي:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نهايـة أقـــدام العقــول عقــال |  | وغـايـة سعـي العالميـن ضـلال |
| وأرواحنا في وحشة من جسومنا |  | وحاصــل دنيانــا أذى ووبــال |
| ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا |  | سـوى أن جمعنا فيه قيـل وقالـوا |
| وكم قد رأينا من رجال ودولــة |  | فبـادوا جميعـا مسرعيـن وزالـوا |
| وكم من جبال قد علت شرفاتها |  | رجـال فزالـوا والجبـال جبـــال |

يعني بهم: أساطين الكلام، ثم قال بعد هذه الأبيات: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أرها تشفي عليلا ً أي: مريضا ً، ولا تروي غليلا ً، ورأيت أقرب الطرق في الإثبات طريقة القرآن اقرأ في الإثبات ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﭼ، واقرأ في النفي:ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩﭼ هذا الكلام في الحقيقةأول الأبيات تدل على الـحَـيـرة، وآخر النَـثـر يدل على التوبة.

يقول الشيخ رحمه الله: ( ونرجو أنه تاب من ذلك ومات على السُّنة ) هذا فيه رحمة أهل السُّنة بالناس وعدم قسوتهم عليهم هم أرحم الخلق بالخلق يرجو أنه مات على السُّنة مع أنه ألّف التآليف في البدعة.

يقول رحمه الله: ( فلا تغتر بأمثال هؤلاء ) وإن اُوتوا علما وفهما وتصنيفا وتقعيدا، لا تغتر بهم، فالعلم ليس هو كله بكثرة المعلومات إنما العلم زكاء، يزكي الله من قلوب أهله، وكما سبق فهؤلاء اُوتوا ذكاء ً ولم يؤتوا زكاءً.

( قال شيخ الإسلام رحمه الله في المحصل:وسائر كتب الكلام والمختلف أهلها مثل كتب الرازي وأمثاله وكتب المعتزلة والشيعة والفلاسفة ونحو هؤلاء لا يوجد فيها ما بعث الله به رسوله في أصول الدين بل وجد فيها حق ملبوس بباطل.... انتهى من منهاج السنة.)

انظر كيف: هو ما وقـف على الكتاب إنما نقله من كتابه منهاج السُّنة النبوية وهذا من حُسن الإختيار للعالم ويدل على براعته وعلى فهمه.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله في كتاب الرازي ( المحصل ):( وسائر كتب الكلام والمختلف أهلها ) أهل الكلام ليسوا على جادة واحدة، إنما هم يختلفون ( مثل كتب الرازي وأمثاله وكتب المعتزلة والشيعة والفلاسفة ونحو هؤلاء لا يوجد فيها ما بعث الله به رسوله في أصول الدين ) يعني: في توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية ( بل وجد فيها حق ملبوس بـباطل )، تجد في كتبهم: البحث في أول واجب والبحث في أول ما يجب على الناس واستفراغ البحث في توحيد الربوبية هذا حق لكن لبسوه بالباطل بالبدع التي أحدثوها......... انتهى هذا النقل من منهاج السُّنةالنبوية.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قد شرح كتاب الرازي ( محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ) شرحا ً نقديا ً وهو المشهور في كتب شيخ الإسلام ذِكره كما في منهاج السنة والصفدية، هذا الشرح النقدي لم يتمه شيخ الإسلام رحمه الله، وألف بعده بنحو ثلاثين سنة نقده الأوسع للفخر الرازي في ( درء تعارض العقل والنقل )([[8]](#footnote-8))

، وأظن هذا الشرح النقدي في منهجه كبيان التأسيس الذي نقد فيه ( أساس التقديس ) للرازي.

( وقد قال بعض العلماء في المحصل:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| محصل في أصول الدين حاصله |  | من بعد تحصيله أصل بلا دين |
| أصل الضلال الشرك المبين وما |  | فيه فأكثــره وحـي الشياطيـن |

فكيف تسمح نفس عاقل أن يعتمد على مثل قول هؤلاء.)

يعني: المحصل لشيخ الإسلام هو هذا والرازي له كتاب اسمه المحصل ومحصل الرازي يقول فيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الأبيات التي نقلها الشيخ حمد رحمه الله ( محصل في أصول الدين حاصله) أي: خلاصته، ( من بعد تحصيله أصل بلا دين ) أي: ما تُـحـصّل فيه دينك، (أصل الضلال الشرك المبين وما.... فيه فأكثره وحي الشياطين ) أي: قيل وقال وفلسفه وكلام، التي هي زبالات الأفهام ومصدرها من الشيطان لا من وحي الرحمن !! فعندئذ ٍ كيف يليق بالمسلم العاقل أن يـبـني دينه وعقيدته على هذه الضلالات.

( ومن ذلك أنكم قلتم في سورة يونس أيضا ً: استوى على العرش استواءً يليق بجلاله وهذه طريقة السلف المفوضين، وقد تقدس الديان عن المكان والمعبود عن الحدود انتهى، فإن كان المراد بالتفويض ما يقوله بعض النفاة وينسبونه إلى السلف. وهو أنهم يمرون الألفاظ ويؤمنون بها من غير أن يعتقدوا لها معاني تليق بالله أو أنهم لا يعرفون معانيها فهذا أكذب على السلف من النفاة وإذا قال السلف كما جاءت بلا كيف فإنما ينفون علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة، ولو كانوا قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول وأمروها كما جاءت بلا كيف فالاستواء لا يكون حينئذ معلوما بل مجهولا بمنزلة حروف الجر. وأيضا ً فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم من اللفظ معنى، وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا ثبتت الصفات، هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ولا نشك أن هذا اعتقادك ولكن المراد أنه دخل عليك بعض الألفاظ من كلام أهل البدع لم تتصور مرادهم فتنبه لمثل ذلك.)

هذه الملاحظة الثانية: الأولى في الاستواء، الآن تأتي ملاحظة ثانية وأيضا ً في الاستواء،

يعني:أنك قلت إنه استوى استواءً يليق بجلاله وهذه طريقة السلف المفوضين وهذه العبارة فيها حق ملبوس بباطل.

أما قوله استواءً يليق بجلاله فحـق ٌّ، وهذه طريقة السلف حـق ٌّ، المفوضين باطل، لأن السلف لم يفوّضوا إلا الكيفية ولم يفوّضوا المعنى.

وقـولـه:( وقد تقدَّس الديان عن المكان والمعبود عن الحدود )، هذا كله من كلام المتكلمين ليس من كلام السلف رضي الله عنهم، السلف ما نفوا عن الله الحدود ولا المكان وإنما أثبتوا لله علوه، وأما المكان والحدود فهذه لم يأت فيها لا اثبات ولا نفي.

\*: موقف السلف من الألفاظ المجملة:

ولهذا طريقة العلماء إذا جاء اللفظ المجمل نفيا ً كما ها هنا بنفي المكان والحد

ونفي الجسم والجوهر والعرض، أو اثباتا ً كمن يثبت لله أنـه قديم أو أزلي،

أنهم أولا ً: يتوقّـفون لا يردُّونه كله ولا يقولون بـه كُله، وإنما يتوقّـفون.

ثانيا ً: ثم يستفسرون عن مراد قائله فإن أراد بالتفويض كذا وكذا فسروه وأخذوا الحق وردُّوا الباطل، وهذا ما سيسلُـكـه الشيخ حمد رحمه الله.

أ – قال رحمه الله: ( فإن كان المراد بالتفويض ما يقوله بعض النفاة وينسبونه إلى السلف.........إلخ) وهو تفويض المعنى، يقولون: ما نعرف ما معنى استوى، والله أعلم بمراده،

فهذا لا يقوله السلف، ولا يصح نسبته إليهم، وهو أنهم يُمرّون الألفاظ: استوى على العرش ويؤمنون بها من غير أن يعتقدوا أن لها معاني تليق بالله، هذا ليس تفويض السلف، والسلف حاشاهم عن هذا المعنى.

أو أنهم: لا يعرفون معانيها فهذا أكذب على السلف من النفاة، نَسب للسلف قولا ً لم يقولوه والنفاة هي المعطلة، وإذا قال السلف: كما جاءت بلا كيف فإنما ينفون علم الكيفية ولـم ينفوا حقيقة الصفة ولا معناها.

ب - إذن الذي فوَّضُوه السلف هو: كيفية الصفة وحقيقتها لا معناها ومفهومها،

ولو كانوا قد آمنوا باللفظ المجرد أي: السلف من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا الاستواء غير مجهول أي: معلوم المعنى، والكيف غير معقول لأنهم يجهلون معنى الكيفية ولما قالوا أمرِّوها كما جاءت بلا كيف !!

قال رحمه الله: ( فالاستواء لا يكون حينئذ معلوما ً بل مجهولا ً بمنزلة حروف الجر )، هذا مرادهم بأن السلف فوضوا المعنى وحاشا للسلف من ذلك.

علماء السلف أقـرّوا بمعاني الاستواء، قال الإمام مالك رحمه الله: ( الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة )، وقال ربيعة:( الاستواء غير مجهول )، يعني عارف معناها ويثبت صفة الاستواء لكن الكيف مجهول.

وقال ربيعة: ( الكيف غير معقول) أي: لا نعلمه ولا نعقله.

قال رحمه الله: ( وأيضا ً: فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم من اللفظ معنى )، فلو كان المراد أن السلف مُفوِّضة لا يعرفون لا معنى ولا كيفية،

لكن السلف نفوا الكيفية وأقـرّوا المعنى دل على أنهم يعرفون معنى الصفة،

فالاستواء عندهم غير السمع، والسمع غير البصر، لأنهم يعلمون معاني هذه الصفات وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفيةإذا ثبتت الصفات.

هذا الذي قرره الشيخ ابن عتيق رحمه الله هـو كلام شيخ الإسلام رحمه الله، وقوله:( ولا نشُك أن هذا أعتقادك )، انظروا إحسانه الظن بالعالِم مع أنه نقل ما يوهم ويلبس، وإلى مذهب المتكلمين أقرب، لكن هذا من تشجيعه وإعانته على نفسه وعدم ترك الشيطان له مَدخلا ً عليه.

قال رحمه الله: ( ولا نشك أن هذا أعتقادك ولكن المراد أنه دخل عليك بعض الألفاظ من كلام أهل البدع لم تـتـصوّر مرادهم )، يعني: أحسنت الظن بهم ولم تعرف حقيقة مرادهم فـتـنـبـه لمثل ذلك.

( وأما قول القائل يتقدس الديان عن المكان فهذا لم ينطق السلف فيه بنفي ولا إثبات وهو من عبارات المتكلمين ومرادهم به نفي علو الله على خلقه لأن لفظ المكان فيه إجمال يحتمل الحق والباطل كلفظ الجهة والعلو والكلام في ذلك معروف في كتب شيخ الإسلام وابن القيم فارجع إلى ذلك تجده ولا نطيل به وحسبنا الاقتصار في هذا الباب على ما ورد في الكتاب والسنة كما قال الإمام أحمد: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث.)

يقول الشيخ رحمه الله في تعقبه على كلام النواب الصديق حسن خان رحمه الله لما قال في الاستواء، قال: استواء ً يليق بجلاله وهذه طريقة السلف المفوّضين ومر التعقيب عليها.

يقول:( وأما قول القائل يتقدس ) أي: الله تقدس الديان عن المكان والمعبود عن الحدود، يقول: ( أما قول القائل يتقدس الديان عن المكان فهذا لم ينطق السلف فيه) أي: لم ينطق به السلف الصالح ولم ينفه الله عن نفسه ولم ينفه عنه رسوله عليه الصلاة والسلام فلم يذكروه لا بنفي ولا بإثبات،

لا قالوا: إن الله تقدس عن المكان، ولا قالوا:إن الله بمكان، وإنما الذي جاءت به الأدلةأن الله في العلو وأن الله مستوي على عرشه، فهذه عبارة من؟

الجواب: هذه ( عبارة المتكلمين )!! و ما هو مرادهم منها؟ أن ينفوا ( علو الله على خلقه.......إلخ) لأن المكان هو الحيز ولهذا يقولون:إن الله ليس بحيز ولا بمحدود ولا بمكان ولا بجوهر ولا بعرض ولا داخل العالم ولا خارجه، فالمتكلمون ينفون عن الله أشياء من عندهم لـم يأت به الكتاب ولا السُّنة وموقف السلف منها هو:

1 - التوقـف أولا ً لا نقبلها ولا نرُدّها.

2 - ثم يُستفسَر عن مراد صاحبها ما مرادك بنفي المكان عن الله سبحانــه؟

فإن قال: مُرادي بنفي المكان عن الله أن الله لم يستوي على عرشه، أن الله ليس في العلو، فنقول له: فـض الله فاك، هذا المراد باطل وهذا التعبير بــه باطل أيضا ً.

فإن الله في العلو وهو مستوي على عرشه، وإن قال: مُرادي هنا بأن الله ليس في مكان أي: ليس له مكان يـحـويه، ولا حيز يـحـتـويه ويحيط به،

فنقول هذا المعنى حـقٌّ، لكن لا نُعبّر عنه بقولك: ( إن الله ليس بمكان ) أو ( الديان تقدس عن المكان )، نقول ونُعبّر عنه بأن الله علا على خَلقه، وبأن الله عليٌ عظيم، وعليٌ أعلى كما قال الله بذلك عن نفسه في آي القرآن، وكما عبّر عنه نبيه صلى الله عليه وسلم.

ثم أرجعه الشيخ حمد بن عتيق بقوله: الكلام هذا تجده مبسوطا ًفي كلام شيخ الإسلام وابن القيم، وهذا دليل على أن الذي دافع عن علوم شيخ الإسلام ونشرها وأذاعها وقعّدها هم علماء الدعوة، ولهذا يُـحـيلون الناس على هذين العلمين.

قال الشيخ رحمه الله: ( وحسبنا الاقتصار في هذا الباب على ما ورد في الكتب والسنة كما قال الإمام أحمد رحمه الله: لا يوصف الله إلا بما وصف بــه نفسه أو وصفه بــه رسوله لا يُتجاوز القرآن والحديث ) أي: بعبارات المتكلمين ولو كانوا علماء وأئمة لا نـتـجـاوز ما جاء في الكتاب ولا في السُّنة، ولهذا توحيد الأسماء والصفات يقوم على ثلاثة أسس:

الأساس الأول: الإثبات بما جاء بالكتاب والسُّنة.

الأساس الثاني: التـنـزيه فـنُـنَـزّه الله عن كل نقص وعيب و أوله ما نـزّه الله عن نفسه ونـزّهـهُ عنه رسوله عليه الصلاة والسلام.

الأساس الثالث: عدم التكيـيف لا نُـكيِّـف أسماء الله ولا صفاته ولا ذاته.

قال رحمه الله: ( ومن ذلك ما ذكرتم عند قوله تعالى: ﭽ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ، وقد قيل إن خلق جرم الأرض متقدم على السماء ووجودها متأخر وقد ذكره جماعة من أهل العلم هذا جمع جيد يجب المصير إليه وفي حم السجدة الجواب أن الخلق ليس عبارة عن الإيجاد والتكوين فقط بل عبارة عن التقدير أيضا ً، والمعنى (قضى) أن يحدث الأرض في يومين بعد إحداث السماء والجواب المشهور أنه خلق الأرض أولا ً ثم خلق السماء بعدها ثم دحا الأرض وحدها والأول أولى ففي هذا نوع تعارض.)

هذه الملاحظة العلمية: وإن كان لا يترتب عليها كبير أثر في الإعتقاد، فـفي آيـة فصلت: تعدى الاستواء بعد ثُـم بحرف إلى السماء، وأن هذا كان بعد خلق الأرض يقول الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله: في مُلخّص عبارته إن هذا الكلام الذي ذكرتـه قد قال به جمع من أهل العلم وهو جمع جيد يجب المصيرإليه على معنى ثُـم هنا للترتيب، لكن الخلق ليس فقط عبارة عن الإيـجـاد والتكوين، فالخلق يتناول معنىً أعظم وهو التقدير خلق الأرض كذا أي: أوجدها من العدم وكوّرها وقدّر ما فيها مما يجري عليها فلفظ الخلق يشمل هذه المعاني.

قال الشيخ رحمه الله: ( ومن ذلك قولكم على البسملة: والرحمة إرادة الخير والإحسان لأهله، وقيل ترد عقوبة من يستحق العقاب وإسداء الخير والإحسان إلى من لا يستحقه فهو على الأول صفة وعلى الثاني صفة فعل... انتهى، وهذا هو التأويل المعروف عن بعض أهل البدع يردون هذه الصفات إلى الإرادة فرارًا مما فهموه حيث قالوا إن الرحمة ورقة القلب لا يصلح نسبتها إلى الله تعالى، فقال لهم أهل السنة هذه رحمة المخلوق ورحمة الرب تليق بجلاله لا يعلم كيف هي إلا هو ويلزمهم في الإرادة نظير ما فروا منه في الرحمة. فإن الإرادة هي ميل القلب فإما أن تثبت إرادة تليق بالرب تعالى وهو الحق في جميع الصفات وإما أن تقابل بالتأويل وهو الباطل، والآفة دخلت على النفاة من جهة أنهم لم يفهموا من صفات الرب إلا ما يليق بالمخلوق فذهبوا لينفوا ذلك، ويقابلونه بالتأويلات، قال شيخ الإسلام: إنهم شبهوا أولا ً فعطلوا آخرا، وأهل السنة والجماعة أثبتوا لله جميع الصفات على ما يليق بجلاله ونفوا عنه مشابهة المخلوقين فسلموا من التشبيه والتعطيل.)

هذه الملاحظة هي: أقوى الملاحظات التي لاحظها الشيخ حمد على النواب في هذه الرسالة، حتى الآن عندنا أربع ملاحظات:

الأولى: في الاستواء وهو أن ثُم لمجرد العطف.

الثانية:أنه نَسَب في آية سورة يونس استوى على العرش إلى السلف أنهم مُفوّضه وأن الله تقدس عن المكان.

الثالثة:أنه أتى في آيه فصلت ثم استوى إلى السماء أن معناها أن الخلق شيء والتقدير شيء آخر وكلاهما بمعنى القضاء، وهذه أسهل الملاحظات.

الملاحظة الرابعة: أنه فسّر البسملة( بسم الله الرحمن الرحيم ) فسّر الرحمة بأنها إرادة الخير والإحسان لأهله إذن فسّر الصفة بالإرادة، وهذه طريقة عامة الأشاعرة يُفسِّرون الصفة بصفةأخرى فالرحمة قالوا: إرادة الإحسان، والغضب: إرادة العقاب، إذن فـسَّـرُوا الصفة بالإرادة،

والذي حَملَهم على ذلك: قالوا لأن الرحمة معناها رِقّـة القلب، ورِقّـة القلب هذه لا تليق إلا بالمخلوق، لا تليق بالله جل وعلا، نقول لهم: ذلك بأنكم تصوَّرتم أن صفات الله كصفات المخلوق، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله شبّهوا أولا ً فطلبوا التشبـيه بالتعطيل ثانيا ً، ولهذا أيهم أقبح المشبهة أوالمعطلة؟

نقول: كلاهما في القبح سواء، ولكنهم متفاضلون في الدركات، فالمعطلة أقبح من المشبهة لأن المشبهة وقـفوا عند التشبـيه وقالوا:إن صفات الخالق كصفات المخلوق، والمعطلة شبّهوا أولا ًبخواطرهم وقلوبهم فـقـالوا: إرادة الرحمن مثل إرادة المخلوق، رحمة الله مثل رحمة المخلوق كلها رِقّـة في القلب، إذن نبعد عن هذا إلى التعطيل فمرّوا بمرحلة التشبـيه ثم تجاوزوها إلى التعطيل فجمعوا سوءتين. ولهذا التعطيل أقبح من التشبـيه وكلاهما في القبح سواء،

ومن طريقة المعطلة هي: تفسير الصفات بالإرادة فقال لهم أهل السُّنة: الرحمة التي فيها رِقـة قلب وانكسار هي رحمة المخلوق، وليست هي رحمة الخالق، أما رحمة الرب فنعرف أنها ليست غضب، وليست انتقام، وليست مـجـيـئا، وليست استواءً، بل هي رحمة لكنها تليق بجلال الله سبحانه، لا نعلم كيف يرحم لأننا لا نعلم كيف هـو سبحانـه، كما أنها صفة كمال، فالله أحق بكل كمال.

فإذا قالوا: إن معنى الرحمة إراده الإحسان.

فـنـقول لـهم: يلزمكم في الإرادة مثل ما لزمكم في الرحمة، قلتم: إن الرحمة رِقّـة القلب، فـنـقول: وكذلك الإرادة معناها ميل القلب إلى شيء دون شيء،

فهل تقول: - أيها المُتكلم - هذا في حق الله لأنكم فسّرتم الرحمة بالإرادة؟

فالإرادة: ميل القلب فإما أن تـثـبت إرادة تليق بالله وهذا الذي يلزمك، وإلا وقعت في مثل ما هربت منه وفررت في الرحمة بأنها إرادة فـفـسّرتها بإرادة الإحسان.

ولهذا قال الشيخ حمد رحمه الله: ( وإما أن تقابل بالتأويل وهو الباطل )، وهذا الكلام عين ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله في التدمرية، لما رد على هؤلاء في الأصل الأول: بأن القول في بعض الصفات كالقول في بعض، وفي الأصل الثاني: القول في الصفات كالقول في الذات.

قال الشيخ رحمه الله: ( والآفـة ) أي: في الصفات ( دخلت على النفاة من جهة أنهم لم يفهموا من صفات الرب إلا ما يليق بالمخلوق )، حيث ضاقت نفوسهم وعقولهم وقلوبهم حتى لم يفهموا من الصفات إلا ما يعرفونها في الشاهد أمامهم في المخلوقات، فتصوَّروا التشبيه ثم طردوه وأبعدوه بالتعطيل الذي اسمه زورا ً تنزيها ً.

ولو أنهم نزهوا الله وعظموه على أن صفاته جل وعلا كما ذاته، لا نعلم كيفيتها لما التبس عليهم هذا الباب.

فنحن نعلم معنى الصفة فصفة العلم غير صفة الرحمة، وصفة الرحمة غير صفة العذاب، والعذاب غير الغضب، والغضب غير المجيء، لكن كيفيتها هذه لا نعلمها.

قال الشيخ رحمه الله: ( فذهبوا لينفوا ذلك ويقابلونه بالتأويلات ) الباطلة، هذا ما قـرّره شيخ الإسلام رحمه الله.

قال الشيخ: ( قال شيخ الإسلام رحمه الله: إنهم شبهوا أولا ً فعطلوا آخرا ً، وأهل السُّنة والجماعة أثبتوا لله جميع الصفات على ما يليق بجلاله ونفوا عنه مشابهة المخلوقين )، فسلَّمهم الله وسلِموا من التشبيه وسلِموا من التعطيل.

ولهذا قال نعيم بن حماد الخزاعي رحمه الله: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس في ما وصف الله به نفسه تشبيه.

قال رحمه الله: ( ومن ذلك أنكم أكثرتم في هذا التفسير من حمل بعض الآيات على المجاز وأنواعه وقد علمتم أن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز حدث بعد القرون المفضلة ولم يتكلم الرب به ولا رسوله ولا أصحابه ولا التابعون لهم بإحسان، والذي يتكلم به من أهل اللغة يقول في بعض الآيات هذا في اللغة ومراده أن هذا مما يجوز في اللغة لم يرد بهذا الحادث ولا خطر بباله ولا سيما أنهم قالوا: إن المجاز يصح نفيه فكيف يليق حمل الآيات القرآنية على مثل ذلك، وقد أتى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب الإيمان الكبير بما كفى وشفى وذكر الآيات التي استدلوا بها وبعض الأمثلة التي ذكروها وأجاب عن ذلك بما إذا طالعه المنصف عرف الصواب وقواعده أن المجاز لا يدخل في النصوص ولا يهولنك إطباق المتأخرين فإنهم قد أطبقوا على ما هو شر منه والعاقل يعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال. ومن عرف غربة الإسلام والسنة لم يغتر بأقوال الناس وإن كثرت.

والله تعالى يقول: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢﭼالآية من سورة الأنعام: ١١٦)

هذه الملاحظة الخامسة: التي أوردها الشيخ العلامة حمد بن على بن عتيق على الشيخ النواب الصديق حسن خان رحم الله الجميع، ومُؤدى هذه الملاحظة والملاحظات كلها هذه إجمالية حيث لها أفراد تحتها،

إكثار الشيخ النواب في تفسيره من ذكر المجاز، والمجاز في اصطلاح أهله ثمرة التأويل وهو: صرف اللفظ من احتمال راجح إلى احتمال مرجوح لقرينة، هذه القرينة الصارفة هي التي أوجبت الصرف بما يُسمّونه بالمجاز، والمجاز على هذا النحو الذي أطبق عليه المتأخرون، وأهال ذلك الناس هو مجاز المتكلمين، وهو ما لا يريدون حمله على الحقيقة اللائقة بـه حملوها على المجاز، واتخذوا إلى هذا المجاز سُبلا ً منها سبيل الإستعارة، قالوا: الإستعارة مجاز.

وابن القيم رحمه الله في كتابه الكبير: ( الصواعق المرسلة على غزو المعطلة والجهمية )، جعل المجاز طاغوتا ً من طواغيت أهل الكلام فمن طواغيته أن النصوص لا تفيد اليقين وإنما تفيد الظن هذا طاغوت من الطواغيت، خبر الآحاد لا يُعوّل عليه في باب اليقينيات، من الطواغيت المجاز وكل طاغوت من هذه الطواغيت رد عليها رحمه الله بما يزيد على 270 وجها ً في كتابـه العظيم: ( الصواعق المرسلة ).

والمجاز على هذا المعنى أنكره العلماء ومن أشد المنكرين له شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، ووصلوا بنـتـيجـة إلى أنه لا مجاز في القرآن ولا في السُّنة على ما يصطلحُه هؤلاء المتكلمون، وإنما الذي هو موجود في الوحي وفي لغة العرب ما يـجوز في اللغة استخدامه،

الشيخ الامين الشنقيطي رحمه الله قد نفى المجاز كُله عن اللغة وعن القرآن،

والشيخ حمد بن عتيق رحمه الله لـخّـص القول الراجح في هذا فـقال رحمه الله: ( والذى يتكلم به من أهل اللغة يقول في بعض الآيات هذا في اللغة، ومراده أن هذا مـما يـجوز في اللغة )، يُشير إلى أمثلهم وهو أبـــو عبيد القاسم بن سلاّم وقبله معمر بن المثنى رحمهما الله في كتابــه: ( مجاز القرآن ) ومعنى مجاز القرآن:أي: ما يـجـوز استخدامه في اللغة من غير وجـه، كإطلاق الشجاع على الإنسان بأنـه أسد بجامع الشجاعة، وإطلاق وصف الكرم على الكريم بأنه بحر، هذا مـما يـجوز في اللغة ولا يُسمّى هذا المجاز بالتأويل من المعنى الأصلي إلى معنى آخر، وإنما هذا يـجوز في اللغة بالقرينة الدالة عليه، فإذا قال رأيت أسدا ً يصلي بالمسجد، عُرِف أن المقصود الشجاع بقرينة صلاته وهكذا.

يقول الشيخ ابن عتيق رحمه الله:( هذا مـما يـجوز في اللغة لـم يرد بهذا الحادث ولا خطر بباله و لاسيما أنهم قالوا:إن المجاز يصح نفيه........إلخ )أي: القائلون بالمجاز قالوا المجاز يصح إثباته ويصح نفيه،

فإذا قيل إن هذه الآيـة مجاز تحكَّموا في معناها، فهم أثبتوا لفظا ً الآية، لكنهم تحكّموا بصرف معانيها بما يُسمونه مجازا ً على غير ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ولا التابعون لهم بإحسان، ولم يتكلم الرب جل وعلا بـه،

ثم من فِـقـه الشيخ حمد رحمه الله أنه أحال المستلحَـظ عليه وهو النواب رحمه الله فـقـال: ( وقد أتى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه الإيمان الكبير بما كفى وشفى...........إلخ) أي: من الآيات في الصفات وفي غيرها مـما يَدّعي بــه المدّعون أنها مجازا ً.

وشيخ الإسلام رحمه الله له كتابان في الإيمان ( الإيمان الكبير ) و ( الإيمان الأوسط )، وليس هناك إيمان صغير، فلماذا سموه أوسط مع أن قسيم الكبير صغير؟

الجواب: لأن الإيمان الأوسط كتاب ضخم ليس مختصرا ً، بأن يكون قاعدة من القواعد أو رسالة من الرسالات، وإنما هو في مجلد والفرق بينهما: أن الإيمان الكبير:أطال فيه شيخ الإسلام رحمه الله في نقاش المرجئة واستطرد في نقاش المعطلة والمتكلمين.

وأما الإيمان الأوسط: فإنـه بناه على حديث جبريل عليه السلام وهو دائر على العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان ومسائل متعلقة بهذا.

يقول ابن عتيق رحمه الله: ( بما إذا طالعه المنصف عرف الصواب وقواعده أن المجاز لا يدخل في النصوص )أي: المستخدم عند أهل الاصطلاح لا يدخل في النصوص نصوص الكتاب والسُّنة، ثم قال الشيخ: ( ولا يهولنك ) أي: لا يعظم عليك ( إطباق المتأخرين ) لأنهم أطبقوا على القول بالمجاز الذي عند المتكلمين، ( فإنهم قد أطبقوا على ما هو شر منه)، مثل ماذا؟

الجواب: مثل التأويل الذي هو تحريف، بل أطبق المتأخرون على إباحة التوسل حتى - من أصحابنا الحنابلة -، على إباحة التوسل بالصالحين، فهذا شر من القول بالمجاز لتعلقه بتوحيد العبادة.

قال الشيخ رحمه الله: ( والعاقل يعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال ) هذه قاعدة من قواعد أهل السُّنة بمعرفة الحق:أن الحق لا يعرف بالرجال وإنما الرجال يعرفون بالحق.

قال رحمه الله: ( ومن عرف غربة الإسلام والسُّنة لم يغتر بأقوال الناس وإن كَـثـُرت والله تعالى يقول: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢﭼ)، إذن هذا هو ملخص هذه الملاحظة التي ذكرها الشيخ حمد رحمه الله في مسألة المجاز.

ثم استطرد الشيخ حمد بالتعويل على معول النواب الصديق حسن خان في هذا الوقت وهو إعجابهم بمحمود جار الله الزمخشري صاحب الكشاف، وكتابـه آيـة وأُعجوبة في بيان الوجوه البيانية و البلاغية لكنه باقعه يُقرّر تفسير المعتزلة في باب الصفات والقدر، وهو– عفا الله عنه - الذي قـرّر أن ( لن ) تأتي للنفي المؤبد فرد ّعليه العلامة ابن مالك في أصل الخلاصة وهي ألفيته المشهورة في النحو والتصريف وهي الكافية الشافية حين قال:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وَمَـنْ رَأَى النَّفْـيَ بِلَـنْ مُؤَبَّـدًا |  | فَقَوْلُـهُ ارْدُدْ وَسِـوَاهُ فَـاعْضُـدَا |

قال رحمه الله: ( ومن أبلغ الناس بحثا ًفي المعاني الزمخشري وله في تفسيره مواضع حسنة ولكنه معروف بالاعتزال ونفي الصفات والتكلف في التأويلات والحكم على الله بالشريعة الباطلة مع ما هو عليه من سبه السلف وذمهم والتنقص لهم وفي تفسيره عقارب لا يعرفها إلا الخواص من أهل السنة وقد قال فيه بعض العلماء:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ولكنــه فيــه مجــال لقـائــل |  | وزلات سوء قد أخذن المخانقا |
| ويشهد في معنى القليل إشارة |  | بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقـا |
| يُقَوِّل فيها الله ما ليــس قائـلا |  | وكــان مجما في الخطايـة وامقـا |
| ويشتم أعـلام الأئمــة ضلـة |  | ولا سيما إن أولجـوه المضائقــا |
| لئـن لم تداركه مـن الله رحمــة |  | لسوف يرى للكافرين مرافقــا) |

يقول الشيخ رحمه الله: إن الزمخشري أشهر من عُرف بإيراد المجازات والتكلفات ومن أبلغ الناس بحثا ً في المعاني الزمخشري في تفسيره: ( الكشاف )، وله في تفسيره مواضع حسنة، وهذا من الإنصاف إن أردت الحكم الإجمالي أذكر الملاحظات والحسنات هذا عند الحكم الإجمالي،

أما عند الحكم التفصيلي فلا يلزم من ذكر الحسنات وإنما التـنـبـيـه على الغلط فقط.

دليله:أن النبي عليه الصلاة والسلام لما بعث ابن اللُّتبيه بعثه جابـيا للزكاة،

وابن اللُّتبيه في هذا الموضع مؤتمن لكن لما اخطأ رضي الله عنه وقال هذا أُهدِي إليّ، وهذا لكم، رَقى عليه الصلاة والسلام المنبر وقال بعدما حمد الله وأثنى عليه: ما بال أقوام نبعثهم في كذا ثم يأتون يقولون هذا لنا وهذا لكم هلا جلس في بيت أمه ثم يَـنـظر هل يُهدى له أم لا.([[9]](#footnote-9))

فها هنا نبه على الغلط، ما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ابن اللُّتبيه فيه وفيه وكذاوكذا، وهذا الذي يُسمىّ عند الناس الآن بمنهج ذكر الموازنة بين الحسنات والسيئات،

والحق فيه والناس على طرفين بحسب توجهاتهم الحق فيه: إن الحكم الإجمالي تذكر هذا وهذا لأن هذا هــو الإنصاف، أما الحكم التفصيلي فـتُـنـبَّـه على الغلط وعلى الخطأ بذاته دون التوسع بذكر الحسنات أو ذكر الأخطاء الأخرى.

والشيخ هُــنا: لـما كان الموضع موضع إجمال ذكر أن فيه مواضع حسنة، لكنه معروف بالإعتزال، ونفي الصفات والتكلف في التأويلات والحكم على الله بالشريعة الباطلة: شريعة التعطيل والتأويل وحَـمل كلام الله على غير معناه، هذا مجملا ً ما دخل في التفاصيل مع ما هو عليه من سبّه للسلف وذمهم والتنقص لهم، يسب السلف ويقول ليس عندهم فـِقـه، ولا عندهم عِلم، عندهم سلامه وأنهم أناس بُسطاء، لـم يعرفوا مضايق الكلام.

قال رحمه الله:( وفي تفسيره عقارب)، والعقارب التي تـقرص وتُـمـيـت ( لا يعرفها إلا الخواص من أهل السُّنة )وهم: العلماء المحققون من أهل السُّنة، وأهل السنة ثلاث طبقات من حيث العلم والـتـفـقُّـه:

الأولى:العوام ويشمل النساء والأطفال والعمال.

الثانية:المتعلمه وهم المبتدئون والمتوسطون وكثير من أهل العلم من أهل السنة.

الثالثة:أعلاهم وهم أئمتهم ومحققوهم وخواصهم.

قال الشيخ رحمه الله: ( وقد قال فيه بعض العلماء )، أي: قال في الزمخشري وكتابه الكشاف، ( ولكنه فيه مجال لقائل ): يعني فيه أشياء فيها وجهة نظر وفي أشياء حسنة مثل التوجيهات البلاغية والنحوية والبيانية، ( وزلات سوء قد أخذنا المخانـقا ):مـخـانـق الإنسان، ( ويشهد في معنى القليل إشارة....بتكثيرالفاظ تُسمى الشقاشق )، التشقيق بالكلام والتضليل الذي يُسمّونه الناس الآن بالفلسفة، إذا جاءهم واحد تشقشق قالوا: هــذايـتـفـلَّـسـف علينا، ( يُـقـوِّل فيها الله ما ليس قائلا ): يُـحمِّل كلام الله على غير ما أراده الله بهذه الرسوم التي سنُّوها، ( وكان مجما في الخطاية وامقا ): وامقا أي: كثير الملامسة لـهـذه الخطايا، ( ويشتم أعلام الأئمة ضلة ): وهم أئمة السلف، ( ولاسيما إن أولجوه المضائـقا.... لئن لم تداركه من الله رحمة.....لسوف يُرى للكافرين مُرافـقا )، وهذا ليس فيه تكفير لكن فيه زجـره لأن العلماء رحمهم الله حكموا على المعتزلة بالتضليل إلا على ساداتهم وكبرائهم الذين التحقوا بالجهمية فحكموا عليهم بالكفر.

قال رحمه الله: ( والمقصود أن الاعتماد على مثل أقوال هؤلاء لا يليق بالمحقق لا سيما فيما يتعلق بمعرفة الله وتوحيده وأنت ترى مثل محمد بن جرير الطبري وأقرانه ومن قبله ومن يقربه في زمانه لم يعرج على هذه الأمور وكذلك المحققون من المتأخرين كابن كثير ونحوه، وكما هو المأثور عن السلف رحمهم الله تعالى وما استنبطوا منه.)

يقول المقصود من هذا الإيراد كله أن لا تعتمد على أقوال هؤلاء الذين أُخـذ عليهم في العقيدة ولا يليق هذا بك وأنت مُحـقـق، وهذا من إنزال النواب منزلته، واسـتـحـثـاثـه طلب الحق بدلائله، لا تقليد من يحسّن ظنه فيهم !

ولهذا العالِم الذي أخطأ أو تعددت أخطاؤه ما لـم يصل إلى حد البدعة، ينبغي إذا رد عليه العالِم أن يُرفق بــه ويُـنـزله مكانه اللائـق بـه، ما يـنـقصه قدره، أما الأغمار والأحداث والمتعالمون فإنـه إذا أخطأ عندهم المخطئ ولو كانت له حسنات كثيرة نسفوه في اليم نسفا ً وقـطّـعُوه، وهجروه وحـذّروا منه بغير علم ولا هدى ولا فـِقـه ولا بُعد نظر ولا مراعاة المصالح والقواعد العلمية الشرعية !!

انظروا ما يقول الشيخ حمد رحمه الله: ( إن الإعتماد على مثل أقوال هؤلاء لا يليق بالمحقق ) كأنه- يقول نحن نظن بك التحقيق - ( لاسيما فيما يتعلق بمعرفة الله وتوحيده ) يعني: خصوصا ً في أصل الأصول و هو توحيد الله سواءً بألوهيته أو بأسمائه وصفاته.

ثم أوجد لــه البدائل النافعة من كلام أهل الثقة والتحقيق من العلماء فقال رحمه الله: ( وأنت ترى مثل محمد بن جرير الطبري ( ت310 هـ ) وأقرانه ) فهو عوّل على أهل التفسير الذين يُعوّل على أقوالهم ( ومن قبله ومن يقربه في زمانه لـم يعرج على هذه الأمور ) أي: مثل التأويلات والتكلفات والتعطيلات ونفي الصفات،

قال الشيخ رحمه الله: ( وكذلك المحققون من المتأخرين كابن كثير ( ت774 هـ ) ونحوه وكما هو المأثور عن السلف رحمهم الله وما استنبطوا منه)، يشير رحمه الله: إلى أهم وأشهر مدرسة في التفسير وهي مدرسة التفسير بـالـمـأثــور وأشهر ما لأهل السُّنة فيهم من الكتب ثلاثة، تُـمـثـّل أطوارا ً ثلاثة من أطوار التأليف، أعظمها وأكبرها: ( جامع البيان في تأويل القرآن )لمحمد بن جرير الطبري رحمه الله، هذا التفسير ما عُـرِفَ مثله، وابن جرير رحمه الله قال يـومـا ً لطلابه أتـنـشـطون أن أملي عليكم تفسيرا ً للقرآن في ثلاثين ألف ورقة أي: ما يعادل تقريـبا ً 60 مجلدا ً مخطوطا ً، إذا قلنا إن المجلد 500 ورقـة، قالوا يا أبا جعفر والله تفنى الأعمار دون ذلك، فـقال الشكوى لله ضعفت الهمم فأخـتـصره في ثلاثـة آلاف ورقـة وهو المطبوع الآن.

التفسير الثاني: وجاء بعد ابن جرير بقرنين ونصف وهـو تفسير:( معالـم التنزيل )لأبي مسعود الحسين البغوي الشافعي رحمه الله.

ثم جاء بعده التفسير الثالث:والذي ملأ العين والبصر وكتب الله له القبول والأثر وهو:( تفسير القرآن العظيم ) للحافظ ابن كثير رحمه الله.

فالشيخ حمد رحمه الله يُـحـيلُـه إلى هذه خيرا ًلــه من تفاسير أهل الكلام ومحض الآراء، البعيدة عن منهج السلف، وأشهر تفاسير أهل الكلام الذين يُعوّلون عليهما تفسيران:

1 - ( الكشاف ) لمحمود جار الله الزمخشري المعتزلي.

2 - (التفسير الكبير ) لفخر الدين الرازي هذا أشهر ما لـهم وسبحان الله العظيم من يطالع فيها يَـرى أنها مُنـتَـقِـصـة البركـة فـأيـن بركة كلام الله على هذين التفسيرين.

\* فائــدة: أشهر مناهج ومدارس التفسير إجمالا ً:

1 – التفسير الأثري وأشهر ما فيه التفاسير الثلاثة المنوه بها تفاسير: ابن جرير والبغوي وابن كثير، وغيرها كثير من تفاسير المحدثين والعلماء في القرون الأربعة الهجرية الأولى.

2 – تفاسير الرأي وهي عدة مدارس: كلامية، وأصولية، وبلاغية لغوية، وأحسنها حالا ً التفاسير الفقهية كالجامع في أحكام القرآن للقرطبي رحمه الله.

3 – تفاسير الزيدية والمعتزلة.

4 – تفاسير إشارية رمزية كالتفاسير الصوفية، والباطنية، والإتحادية، ووحدة الوجود.

5 – تفاسير الشيعة الروافض كبحار الأنوار للمجلسي.

قال الشيخ رحمه الله: ( فـنسأل الله أن يلحقنا بآثار الموحدين وأن يحشرنا في زمرة أهل السنة والجماعة بمنه وكرمه وقد اجترأت عليك بمثل هذا الكلام نصحا ً لله ورسوله رجاء من الله أن ينفع بك في هذا الزمان الذي ذهب فيه العلم النافع ولم يبق إلا رسومه، وأنا أنتظر منك الجواب وردّ ما صدر مني من الخطاب، ثم إني لما رأيت الترجمة وقد سمي فيها بعض مصنفاتك وكنت في بلاد قليلة فيها الكتب، وقد ابتليت بالدخول في أمور الناس لأجل ضرورتهم كما قيل: خلا لك الجو فبيضي واصفري، فألتمس من جنابك التفضل علينا ببلوغ السول من أقضية الرسول، والروضة الندية شرح الدرر البهية ونيل المرام شرح آيات الأحكام، فنحن في ضرورة عظيمة إلى هذه كلها فاجعل من صالح أعمالك معونة إخوانك ومحبيك بها وابعث بها إلينا مأجورا إن شاء الله تعالى، وليكن ذلك على يد الأخ أحمد بن عيسى الساكن في مكة المكرمة المشرفة واكتب لنا تعريفا بأحوالكم، ولعل أحدا ًمنكم يتلقى هذا العلم ويعتني به ويحفظه عنك واحرص على ذلك طمعا أن يجمع لك شرف الدنيا والآخرة ونسأل الله أن يهب لك ذلك، ثم اعلم أني قد بلغت السبعين وأنا في معترك الأعمار لا آمن هجوم المنية ولي أولاد ثمانية منهم ثلاثة يطلبون العلم كبيرهم سعد المذكور أولا ً ويليه عبد العزيز وتحته عبد اللطيف ونرجو أنهم من أهل الكتب وممن يعتز بها ويحفظها، وبقيتهم صغار منهم من هو في المكتب، ومن دعائـنا:ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﭼ [ الفرقان:74]، ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﭼ[ البقرة: ١٢٨ ]، لا تـنسنا من صالح دعائك كما هو لك مبذول، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم. )

ختم رحمه الله هذه الرسالة بالدعاء له وللمكتوب إليه وللمسلمين فقال رحمه الله: ( فـنسأل الله أن يلحقنا بآثار الموحدين، وأن يـحـشرنا في زمرة أهل السُّنة والجماعة بمنه وكرمه ).

وهذه من خير الدعوات وأنت إذا أردت أن تـنصح أحدا ً ابـتـدأ كلامك وأختمه بالدعاء لـه وانظر أثر ذلك عليك وعليه،

فإذا أنكرت المنكر تقول: الله يهديك، الله يصلحك، إن أثـر ذلك عليه، أن يـلـيـن ما في قلبه، بدلا ً من قولك: يا الفاعل يا التارك يا كذا وكذا، ليس لها أثر كالأثر الأول، وإنما تغلظ قلبه وربما تصدَّه عن قبول الحق والإذعان له.

يقول الشيخ رحمه الله في هذه المقطوعة في آخر الرسالة من روائع أدبـه، وهي في الحقيقة من أدب أهل السُّنة في التعامل مع المخالفين.

أهل السُّنةأدبهم مع المخالف ليس هو أدب الاجتراء والتبديع والتضليل ونحوه، إنما أدبهم الشفقة عليه والنصح لـه لا سيما إذا كان الذي وقع فيه، وقع من جهة الاجتهاد الخاطئ لا من جهة العناد والمكابرة والتعصب المذموم، كما قال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| واجعل لقلبـــك مقلتيـن كلاهمـا |  | بالحق في ذا الخلق ناظرتـــــان |
| فانظر بعين الحكم وارحمهم بها |  | إذ لا تــــرد مشيئــــة الــديــــــان |
| وانظر بعين الأمر واحملهم على |  | أحكــامـــه فهمـــا إذا نــظــــران |
| واجعل لوجهك مقلتين كلاهمـا |  | من خشيــة الرحمـــن باكيتـــان |
| لو شاء ربك كنت أيضا مثلهــــم |  | فالقلب بين أصابــــع الرحمــن |

يقول الشيخ حمد رحمه الله مع أن الشيخ حمد يُسمّيه المشايخ بــ: (مدفع التوحيد ) قوي في الإنكار، شديد في السُّنة، لكن هذه القوة انـزلـها منزلتها اللائقة في كلامـه مع هذا العالِـم، لـم يـجـامله ويداهن ولـم يسكت على أغلاطه، وإنما سما بالأسلوب معه كما هو لائـق بهذا الـمُـؤاخَـذ عليه وهو النواب الصديق حسن خان رحمه الله.

يقول الشيخ حمد رحمه الله: ( وقد اجترأت عليك ) أي: تـجـرأت ( بمثل هذا الكلام ) فلا تلومني إن حصل مني شدة وجرأة إنما فعلت هذا ( نصحا ً لله ورسوله، رجاءً من الله أن ينفع بك في هذا الزمان ) لأن جُـرأتي وقوّتي عليك أرجو الله أن ينفع بك في هذا الزمان، زمان قِلة العلم، هذا في القرن الثالث عشر لأن الشيخ كـتـبـه في أواخر حياته سنة 1297 هــ في القرن الثالث عشر، وتوفي الشيخ بعدها تقريبا ً بأربع أو خمس سنوات.

قال رحمه الله: ( في هذا الزمان الذي ذهب فيه العلم النافع ولم يـبـقى إلا رسومه )، ومعنى الرسوم:الآثار لـم يـبـقى إلا الآثار التي يُستدل بها أنه سكنها قبل هذه أقوام ومـرّ من ها هنا أقوام.

يقول الشيخ: راح العلم النافع ولم يبقى إلا رسومه أي: آثاره ومن آثاره التصانيف النافعة.

قال: ( وأنا انتظر منك الجواب )، يعني الشيخ حمد يحثُّ الشيخ النواب على العناية بالعلم والفرح به أنـه مـمـن سلك هذا الطريق خصوصا ً النواب مع أنه جمع الله له بين العلم وبين الإمارة، يقول: ( وأنا انتظر منك الجواب وردّ ما صدر مني من الخطاب )، أي: لا تهمل كتابي، ردّ الجواب علي بالموافقةأو بالمخالفة أو بالاستشكال أو بالاستيضاح.

وهذا فيه الحرص على المقابل، المقابل إذا نصحـتـه قل له إذا كان كلامي خطأ فردّ عليّ بـيّـن لي خطأي، فهذا حقي عليك، كما هو قبل ذلك حقك عليّ.

قـال الشيخ رحمه الله: ( ثم إني لما رأيت الترجمة ) أي: ترجمة النواب والتعريف به، ( وقد سُمي فيها بعض مصنفاتك )، انظر هذا فيه دلالة على أن العلم رحم بين أهله،

قـال الشيخ: ( وقد كنت في بلاد قليلة فيها الكتب) أي: بلاد نجد الكتب فيها قليلة والناس عندهم مخطوطات، وكان الشيخ حـيـن يكتب هذه الكتابة في بلد الأفلاج، والأفلاج إقليم سُمي الأفلاج لكثرة فلوجه وهي العيون السائحة، وقاعدة الأفلاج ليلى وبجوارها العمار الذي كان فيه الشيخ حمد رحمه الله قاضيا، والشيخ حمد بن علي بن عتيق نقله الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود من الزلفي إلى الأفلاج قاضيا ً لها.

يقول: ( وقد ابتُليت بالدخول في أمور الناس ) يعني: القضاء والحكم عليهم وبينهم ( لأجل ضرورتهم كما قيل ):

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| خلا لكِ الجو فبيضي واصفري |  | ونـقـري مـا شئـت أن تنقـري |

هذا بيت شعر جَـرى عند الناس مـجـرى المثل، وقصته أن رجلا ً رأى نوعا ً من أنواع الطيور مـما هي مرغوبة وهي في مكان تُصفر وتبيض فأمنت من الصائدين، فـقـال لها خلا لكي الجو فبيضي واصفري يعني: صفّري وغنّي ونقّري ما شئت أن تنقري،

الشيخ رحمه الله بهذا يستشهد على أنه يقول: ولِّيت القضاء ولست أهلا له يعني: يهضم جانب نفسه ويتّهمها يقول: ما أنا بأهل لكن لما صرت بين أناس ما فيهم من يقوم بهذا الأمر وهو القضاء، الأمر توجّه وتـوجّب عليّ.

قال الشيخ: ( فألتمس من جنابك ) انظر إلى الأدب ( التفضل علينا )، التمس هذا من جنابك التفضل علينا بهذه الكتب الثلاثة: ( بلوغ السول من أقضية الرسول )وأصله بعنوان: (بلوغ السؤل من أقضية الرسول ) لكن السؤل تُسهّل وهو كتاب جليل يفيد القضاة، و ( الروضة الندية شرح الدرر البهية) وهذا الكتاب الدرر البهية للشوكاني والروضة الندية للنواب، وهو في الحقيقة يُعزّز فقه أهل الظاهر، والشيخ حمد يريد أن يطلع عليه لأنه طالب علم، والكتاب الثالث: ( نيل المرام شرح آيات الأحكام )، هذه يحتاجها الفقيه ويحتاجها القاضي والمعلم.

قال الشيخ رحمه الله:( فنحن في ضرورة عظيمةإلى هذه كلها فاجعل من صالح أعمالك معونة إخوانك ومُـحـبِّـيك بها )،

إذن فالمقصود: أنـنا مع انتقادنا عليك نحن مُـحـبِّـيك ما قال نحن أعدائك يا الفاسق المبتدع يا الذي فيك وفيك، بل جعله من أحبابه.

قال: ( وابعث بها إلينا مأجورا ًإن شاء الله تعالى، وليكن ذلك على يد الأخ أحمد بن عيسى )، انظر كيف حرص الشيخ حمد على الكُتب، هنا بين له الطريق الموثوق الذي يوصل له هذه الكتب، والشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي من بني زيد ( 1253 – 1327 هـ ) الذي شرح النونية المسمى ( توضيح المقاصد وتصحيح القواعد )، وردّ على الحلبي والمدراسي المسمى ( تنبيه النبيه والغبي في الرد على المدراسي والحلبي )، وله ردّ جليل على زيني دحلان، وهو من طلاب الشيخ حمد بن عتيق، والشيخ أحمد بن عيسى غير الشيخ إبراهيم بن عيسى، الشيخ إبراهيم من أهل شقراء ثم أنتقل إلى عنيزة، والشيخ أحمد من أهل شقراء أيضا ً ثم أنتقل إلى الرياض ثم إلى مكة، وليكن ذلك على يد الأخ أحمد بن عيسى ما قال ( الشيخ ) لأنه من طلابه، وقد توفي رحمه الله في سنة ولاية الملك عبد العزيز 1327 هــ.

قال رحمه الله: ( الساكن في مكة المكرمة المشرفة، واكتب لنا تعريفا ً بأحوالكم )، يقول: لا تـنـسانا من المكاتبة عرّفـنا بحالكم وأموركم وأخباركم وهذا من تواصل العلم بين أهله.

قال: ( ولعل أحدا ً منكم يتلقى هذا العلم ويعـتـني به ويحفظه عنك )، أي علم يقصد؟

الـظـاهر لي: أنها تحتمل أمورا ً ثلاث:

الأول: العلم عموما ًعلم الشريعة وكأن الشيخ يشيرإليه أن لا تشغلك التجارة أو الإمارة والولاية عن العلم تعليما ً له وبذلا ً.

الثاني: أن يُراد بالعلم علم التفسير لأن السياق فيه وحول تفسيره: ( المقاصد ).

الثالث:أن يُراد علم العقيدة لأن الشيخ في كتابته له إنما حـثّـه على تلمُّس عقيدة السلف تعلما ً لها أولا ً وتعليما ًونشرا ً لهـا ثـانـيـا ً، والإحتمال يحتمل هذه الثلاثة كلها.

قال الشيخ: ( واحرص على ذلك ) أي: على بذل هذا العلم، ( طمعا ًأن يجمع الله لك شرف الدنيا والآخرة )، شرف الدنيا ليس فقط في الرئاسة شرف الدنيا حتى في العلم وبذله، والآن مات النواب الصديق حسن خان وتوفي وذهبت إمارتـه ما الذي بقي؟ الجواب: بقي علمه واعتباره من العلماء لا من الأمراء والنواب.

قال الشيخ رحمه الله: ( ونسأل الله أن يهب لك ذلك، ثم اعلم أني قد بلغت السبعين وأنا في معترك الأعمار لا آمن هجوم المنية )، يعتذر له ويقول عجّل عليّ بالجواب وعجّل عليّ بإرسال ما طلبنا، أنا في السبعين والمنية ما هي بـبـعـيـدة، ولقد كتبها قبل وفاته بنحو أربع سنين أو أزيد بقليل.

ثم عرّفه بحاله وهذا فيه استلطاف قال: ( ولي أولاد ثمانية، منهم ثلاثة يطلبون العلم )، وقد رزق الله الشيخ حمد بعد هذه الرسالة بولدين آخرين، ومضى التنويه بهم.

أما أولاده الثلاثة الكبار فأكبرهم الشيخ سعد الذي نـوّه عنه الشيخ في أول الكتاب حين قال: عندنا ابن حريص على الرحلة وطلب العلم، وممكن يأتيك ويطلب العلم عندك وهو الشيخ سعد بن حمد بن عتيق الشيخ المحدث الفقيه وهو شيخ شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحم الله الجميع، وبالفعل رحل إلى الهند لطلب العلم وهو ممن حمل أسانيدهم إلينا، وآخر ما تولى قضاء الرياض وتوفي سنة 1349 هــ، ويليه عبد العزيز وهذا أيضا ً قاضي، كان قاضي الأفلاج بعد أبيه وتوفي بعد أخيه بنحو عشر سنين سنة 1359 هــ، وأكثر الموجودين الآن من آل عتيق هم من ذرية الشيخ عبد العزيز، وتـحـتـه عبد اللطيف وهو من طلبة العلم وقد تولى الإمامة للإمام عبد العزيز رحمه الله في مغازيه، وقد ترجمهم الشيخ عبد الله البسام رحمه الله في موسوعته: ( علماء نجد خلال ستة قرون ).

قال الشيخ: ( ونرجو أنهم من أهل الكتب ) يعني: لو أرسلت هذه الكتب ما هي ضائعه إن شاء الله حتى وإن ضاعت مني أنا، سـتـبـقى في أولادي وتبقى في أهل العلم، ( ومـمـن يعـتـز بها ويحفظها وبقيتهم ) أي: بقية عيالي( صغار منهم من هو في المكتب )، والمكتب يعني الكتاتيب، الكتاتيب تسمى بالمكتب يتعلمون فيها القراءة والكتابة.

قال الشيخ: (ومن دعائـنا )أي: دعاء المؤمنين انظر للفقه لأن هذه في آخر سورة الفرقان: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ، ومن دعاء المؤمنين في دعاء الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاةوالسلام: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ، وهذا فيه إن أهل السُّنة يُقدّمون ما في القرآن من الأدعية على غيرها، لأنهم أهل القرآن،

قال رحمه الله: ( لا تـنسنا من صالح دعائك كما هو لك مبذول )، انظر كيف الأدب والسمو نحن بذلنا لك الدعاء في ظاهر الغيب وفي العلانية، كما في السر، فأنت لا تـنسانا من صالح الدعاء ولا شك أن هذا من أعظم أسباب إزالـة زخائـم الصدور.

قال: ( والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم. )،

رحم الله الشيخ حمد وأجزل له الأجر والمثوبة، فهذه الرسالة على وجازتها وإختصارها روعـة من روائــع أهل السُّنة في التعامل مع المخالف، وفي الرفــق بــه، وفي الحرص عليه ما أحوجنا والله إليها في هـــذا الزمان خصوصا ًمع قِـلـة الإنصاف وتعاظم الهوى، ومع كثرة أسباب الردى والتعالم والجهالة والاغترار بالأقوال والأفعال والأصحاب والجلساء.

ما أحوجنا إلى أن نـتـعلم هذا الأدب وهذا السمو من غير أن نُداهن في عقيدتـنا ومن غير أن نجامل الناس على حساب ذلك، والله تعالى اعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. ا.هـــ التعليق المبارك.

1. (1) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ( 13 /23 ). [↑](#footnote-ref-1)
2. () كانوا في بلدة ثادق ثم ارتحل جده عتيق إلى الزلفي ثم تفرقوا: أ- فكان الشيخ حمد وأسرته في الأفلاج والحوطة. ب- وأخوه محمد بقي في الزلفي ولهم مسجد العتيق ونخلهم في عريعرة. ج- وأخوه عتيق في سدير. د- ويحيى في الروضة والشماسية شرقي القصيم ، ولهم جميعا ً أبناء وأحفاد شأنهم العلم والديانة والصلاح ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. [↑](#footnote-ref-2)
3. () البخاري 2941 ، مسلم 4707. [↑](#footnote-ref-3)
4. () سنن أبي داود4293 وصححه الألباني. [↑](#footnote-ref-4)
5. () انظر السنة للخلال ( 5/117 ) ، وتاريخ بغداد ( 4 /153 ) ، ومجموع الفتاوي لابن تيمية ( 12 / 489 ). [↑](#footnote-ref-5)
6. () منهاج السنة ( 5 / 303 ). [↑](#footnote-ref-6)
7. () مرّ مذهب الأشاعرة بعدة مراحل هي إجمالا:

   1 – طور الأشعرية الكلابية بنفي الصفات الإختيارية عن الله عز وجل ، وهو الطور الثاني لإمام المذهب أبي الحسن الأشعري ( ت 324 هـ ) ، لما التقى عبد الله بن سعيد بن كُلاب فنزع عنه مذهب المعتزلة كما نزع عن جبته في جامع البصرة.

   2 – طور جذب الأشعرية إلى الاعتزال على يد إمام المذهب في عصره إمام الحرمين الجويني ( ت 478 هـ ).

   3 – طور تداخل المذهب الأشعري مع الصوفية على يد عالمين منهم: أبو القاسم القشيري ( ت 465 هـ )، وأبو حامد الغزالي ( ت 505 هـ ) ، حتى لا تكاد تجد صوفيا ً إلا وهو في الصفات والقدر والإيمان أشعريا ً.

   4 – طور جذب المذهب إلى الفلسفة وأكبر أساطينه الفخر الرازي (ت 606 هـ ).

   5 – طور التفويض في صفات الله عز وجل للمعنى كما للكيفية ، وقد بدأ من والد إمام الحرمين في الرسالة النظامية ثم انتشر عند متأخريهم بعد القرن الثاني عشر الهجري حتى صار مذهبهم أكثرهم ، كما قال صاحب: ( الجوهرة ) إبراهيم اللقاني:

   وكـــلُّ نـــصٍّ أوهــــم التشبيــــه أوِّلْــــه أو فــــوض ورُمْ تنــزيـهــــــا ً [↑](#footnote-ref-7)
8. () كما في مقدمة الدرء ( 1 / 22 ) ، ومن كتبه رحمه الله التي لم يتمها:

   1 – شرح المحرر في مذهب أحمد لجده المجد أبي البركات ابن تيمية.

   2 – شرح عمدة الموفق ، أتم منه العبادات إلى المناسك.

   3 – شرح أول كتاب القرنوي في أصول الدين في مجلد لطيف.

   4 – شرح أول المحصل للرازي في مجلد ، ويذكر بعض المترجمين أنه في ثلاثة مجلدات !

   5 – شرح بضع عشرة مسألة من الأربعين للفخر الرازي وغيرها ، وفيه نلحظ تخصص شيخ الإسلام ابن تيمية بالفخر الرازي رحمهما الله. [↑](#footnote-ref-8)
9. () البخاري 2457 ، ومسلم 4843. [↑](#footnote-ref-9)